الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: تاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في المغرب الإسلامي الوسيط

بعنوان:

الأوضاع الثقافية إباضية بالمغرب الأوسط بعد سقوط الإمامة الرستمية

إعداد الطّالبتين:

- تسعديت غول
- نصيرة باحمد

إشراف الدكتورة:

فطيمة هارون

السّنة الجامعية: 2020/2019

شكر وعرفان

إلهي لا يطيب الليل ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك

ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك "الله جل جلالك".

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة...ونصح الأمة...إلى نبي الرحمة ونور العالمين.

"سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم".

الجهد لا يكتمل حتى نعطي لكل ذا فضل فضله لذا نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة

"الدكتورة فاطمة هارون " التي ساعدتنا كثيرا في إنجاز هذا البحث رغم انشغالاتها الكثيرة ،

شكرا لكل من ساعدنا كثيرا على إنجاز هذا العمل لهم منا جزيل الشكر والعرفان

إهداء

أحمد الله الكريم الذي بلغني هذا المآل... فالحمد لله إلى الأيادي الحانية العطوفة...إلى العيون الساهرة الوديعة إلى القلوب الدافئة المعطاءة...إلى النفوس المبهجة التي أعطت فما بخلت وتعبت فما كلت...وتفانت فما تقاعست إلى والدي أنبل وأغلى...هبة لي في الوجود إلى أمي...سليلة روحي وبلسم فؤادي حفظها الله إلى أبي...مهجتي واعتزازي حفظه الله ورعاه إلى من علموني أن الحياة كفاح والعلم سلاح وحفزوني على اجتياز الصعاب ودفعوني للحياة بكل إرادة وإصرار إلى مثلي الأعلى في الحياة إخوتي وأخواتي مهد الوفاء.

إلى التي تحملت معي مشارف البحث وتقاسمت مع لحظات اليسر والعسر "نصيرة"

إلى كل الأستاذة الأفاضل في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية كامل الاحترام والتقدير وخاصة الأستاذة المشرفة إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

"تسعديت"

إهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أنتفي حقه

إلى من لا يمكن للأرقام تحصى فضائلها

إلى "أمي العزيزة" أطال الله في عمرها

إلى من علمني العطاء دون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار

إلى أبي العزيز أطال الله في عمره

إلى إخوتي، وأخواتي، إلى زملائي وزميلاتي

إلى زوجي العزيز "شفيع"وعائلته

إلى من قاسمتني صعاب هذا العمل وأمضينا أجمل الأوقات معا إلى "تسعديت"

إلى كل صديقاتي أصدقائي

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

"نصيرة"

قائمة المختصرات

ت: توفي

ج: جزء

د.س: دون سنة

تح: تحقيق

تر: ترجمة

د.ط: دون طبعة

ص: صفحة

ط: طبعة

هـ: هجري م: ميلادي

مر: مراجعة

مج: مجلد

ر.س: رسالة

مقدمة

مقدمة:

لا حضارة بغير علم ولا علم بغير تعليم ولا تعليم بغير نظام معين يرتب الصلة بين المعلم والتلاميذ، وبفضل المناهج المتبعة في التعليم لم يتخلف المسلمون عن غيرهم في هذا الميدان بل كانوا سبّاقين إليه امتثالا لأمر الله تعالى.

فالمتمعن في التاريخ الإسلامي، يجد أن المغاربة امتثلوا واقتدوا كغيرهم بالرسول الكريم بعد أن تمكن الإسلام من قلوبهم وانتشرت بالمنطقة مذاهب مختلفة منها الإباصية التي أنجبت أسماءً كثيرةً لمعت في تاريخ المغرب الإسلامي، أمثال عمر بن يمكثن النفوسي، وحملة العلم الخمسة وأبو بكر الفرسطائي مؤسس نظام العزابة وغيرهم، والإباضية كغيرها من المذاهب نشطت ببلاد المغرب عن طريق التعليم وعقد المجالس والحلقات.

ولأن التعليم في العصر الوسيط يعد من إحدى الركائز الأساسية التي تقوم عليها الدولة في العالم الإسلامي بصفة عامة وعند الإباضية بصفة خاصة نجد أن من شروط الإمام عندهم العلم.

فالتاريخ لا يعرف فرقة من الفرق التي ظهرت بالعالم الإسلامي حافظت على كيانها ليومنا هذا مثل الإباضية، والسبب يرجع إلى نظام التعليم الذي وضعه السلف وسار عليه الخلف من بعدهم وطبقوه، حيث كان ذلك دافعنا الأساسي لدراسة موضوع الأوضاع الثقافية للإباضية بالمغرب الأوسط بعد سقوط الإمامة الرستمية .

فضلا عن دوافع أخرى من بينها:

- الرغبة في التعرف على الموروث الثقافي الإباصي بالمغرب الأوسط بعد سقوط الإمامة الرسمية .

- محاولة فهم نظام المجتمع الإباضي الذي حافظ على كيانه بفضل الاستمرار في تلقين وتعليم مبادئه.
- معرفة مدى التواصل بين التجمّعات الإباصية المغربية والمشرقية من خلال المجالس والحلقات خاصة بمنطقة مزاب، حيث اتخذوا التعليم كوسيلة لنشر المذهب الإباضي.

تناول موضوع دراستنا الفترة الزمنية الممتدة من سقوط الإمامة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة ، أما المجال الجغرافي فخصصناه للمغرب الأوسط. وبناء على ذلك جاء طرح الإشكالية التالية:

- **إلى أي مدى بلغ الأثر الثقافي للإباضية بالمغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الرسمتية؟ هل فعلا تمكن الإباضيون في المحفاظة على وحدتهم ومواصلة نشاطهم؟ وكيف تم الوصول إلى وضع نظام الحلقة؟ وماهو نظام العزابة، وما الدور الذي اضطلع به؟ وما هي أهم العلوم والمعارف المتدارسة عند الإباضية؟**

للإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا موصوع بحثنا إلى مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة.

أما **الفصل الأول** فجاء بعنوان **الإباضية في المغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الرستمية،** تطرقنا فيه مجموعة من الأحداث من بينها موقعة مانو وسقوط الدولة الرستمية، هروب الإباضية إلى ورجلان، تمركزهم بوادي ميزاب،علاقاتهم بالكيانات السياسية القائمة بالمغرب كالفاطميين ، الزريين والحمّاديين من بعدهم.

أما **الفصل الثاني** خصّصناه **لنظام العزابة وأثره في الحياة الثقافية،** تناولنا فيه نشأة نظام العزابة و مهامه، أعضاؤه ،شروط العضوية ، لباس العزابة ، آدابهم ومقرهم.

أما **الفصل الثالث:** فتطرقنا فيه إلى **الأثر الثقافي للإباضية** ، تناولنا في المبحث الأول منه نظام التعليم والمؤسسات التعليمية عند الإباضية ، مراحل التعليم ، وأنواع العلوم المعارف المتدارسة النقلية والعقلية.

المنهج المتبع:

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي الذي يعتمد على سرد الأحداث التاريخية ووصفها خاصة الجوانب السياسية منها ،كما اعتمدنا على المنهج التحليلي الذي استعنا به لتحليل بعض الأحداث التاريخية واستنباط النتائج منها .

عرض تقييمي للمصادر والمراجع :

اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع التي تخدم البحث بصفة مباشرة وغير مباشرة نذكر منها:

1-**المصادر**: ركزنا على المصادر الإباضية منها كتاب **طبقات المشايخ بالمغرب** لأبي العباس الدرجيني بجزئيه الأول والثاني الذي يعتبر من أهم المصادر الإباضية التي تناولت فترة الدراسة، حيث تطرق إلى نظام العزابة

وكذلك اعتمدنا على كتاب سير عمار عبد الكافي ت. 6 هجري، 12 ميلادي الذي اعتمادنا عليه كثيرا في نظام العزابة من حيث الأهمية والمهام. وكذلك الشماخي من خلال كتاب السير، الذي اعتمدنا عليه أهم العلوم والمعارف المتدارسة عند الاباضية

2- **المراجع:** إلى جانب هذه المصادر اعتمدنا على جملة من المراجع، مسعود مزهودي الإباضية بالمغرب الأوسط والذي اعتمدنا عليه في أهم الثورات التي قامت بها الإباضية والكيانات.

كما اعتمدنا على دراسات سابقة فقد حاولنا جاهدا الحصول على دراسات متخصصة في هذا الموضوع. منها مذكرة فطيمة مطهري، مدينة تيهرت دراسة تاريخية حضارية القرن (2-3هـ) (8-9م).

أما الصعوبات الدراسة التي واجهتنا فهي صعوبة الحصول على المصادر والمراجع المتخصصة بموضوعنا هذا وذلك راجع أن أغلب المراجع التي كتبت في الموضوع كانت سياسة أكثر من الجانب الثقافي.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل خاصة الأستاذة المشرفة "الدكتورة فاطمة هارون".

ونتمنى في الأخير نكون قد وفقنا في عملنا هذا أملا أن نكون قد ساهمنا ولو بقسط قليل في إثراء تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط.

الفصل التمهيدي

الإباضية بالمغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الرستمية

1-موقعة مانو وسقوط الدولة الرستمية

2-هروب الإباضية إلى ورجلان وسدراتة

3-الإباضية بوادي ميزاب

4-علاقات الإباضية بالكيانات السياسة القائمة بالمغرب

أ-الفاطميون

1- ثورة مخلد بن كيداد الفيهري

2- الثورة الوهبية

ب-علاقة الإباضية بالمغرب الأدنى

1-موقعة مانو وسقوط الدولة الرستمية:

أ- موقعة مانو وأثرها على نفوسة :

اتسمت العلاقات الرستمية الأغلبية بالطابع العدائي وكان السبب في ذلك تشابك الحدود بينهما وخاصة أن الرقعة الجغرافية للدولة الرستيمة تحيط بالدولة الأغلبية من الشرق والغرب[1].

لما توفي أبو المنصور* رحمه الله كتبت نفوسة إلى الإمام بذلك فولى عليهم الإمام أفلح، وفي مدته كانت واقعة مانو التي قل فيها حد سيوف نفوسة وفنيت فيه أبطالهم وأبقت فيهم اللّمة عظيمة وهي المصيبة الكبرى التي تضعف بها ركن الدولة الرستمية[2]. ومن خلال ما سبق ففي تقديره أن السبب الحقيقي والمباشر لموقعة مانو كان بإيعاز من الخليفة العباسي آنذاك المعتضد بالله إلى واليه على إفريقية إبراهيم بن الأغلب بالقضاء على الدولة الرستمية بضربها في عصب قوتها[3] ثم تحرك إبراهيم بن أحمد بن الأغلب

---

[1] مسعود مزهودي: **جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (21-442هـ) (642-1053م)**، مكتبة الضامري، عمان، ص130.

* إلياس بن منصور سي (أبو المنصور) (كان حيا 261-281هـ 874-894م) من مشايخ جبل نفوسة المشهورين بالعلم والعمل، تلقى علمه على مشايخ بلده. **ينظر: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، مراجعة: محمد صالح ناصر، دار الغرب الإسلامي، جمعية التراث، القرارة، غرادية، ط1 و2، ص63.

[2] سليمان باشا الباروني: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، دار الحكمة، لندن، 2005، ط1، ص333.

[3] عوض الشرقاوي : **التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة (ق2 وق3هـ)**، مؤسسة تاولث الثقافية، 2011، ص112.

في آخر القرن الثالث يريد طرابلس الغرب فعارضته نفوسة ومن معهم في جموع كثيرة بموضع يقال له مانو[1].

إن أفلح بن العباس* لم يكن على نفس القدر من المهارة في قيادة الحروب وتوجيه الأمور فقد منى بهزيمة فادحة على أيدي القوات الأغلبية بقيادة إبراهيم بن أحمد في موقعة مانو **283هـ/896م**[2].

فلما رأى من بقي من عسكر أفلح أن البُند سقط ولوا مدبرين فأفلت من أفلت منهم فذكر من يوثق به أن عدد القتلى اثنتا عشر ألف فمن نفوسة يومئذ أربعة آلاف ومن سائر القبائل ثمانية آلاف[3] ولم يبقى بعدهم عالم يفتى في النوازل إلا أبو القاسم البغطوري، وعبد الله بن الخير، ثم تلامذتهما بعدهما وبلغنا أن عمروش بن فتح كان في آخر العسكر وتحته فرس سابق وكان يحمي صاحبه فإذا طلب لحق وإذا طلب سبق، فنصبوا له جبالا واضطروه إليها فعثر به الفرس وأخذ أسيرا[4].

إن موقعة مانوسنة **(283هـ)** كانت الضربة القاضية للخوارج في المغرب الشرقي وهزت سلطة بني رستم في جميع الأنحاء[5].

---

[1] عبد الله بن يحي الباروني النفوسي: **رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين**، مكتبة الظامري، عمان 1412هـ 1992م، ط1، 28.

* أفلح بن العباس بن أيوب (250هـ 300هـ/864-912م) شيخ من مشايخ جبل نفوسة، تلقى علمه على علماء الجبل، كان معروفا في تيهرت الرستمية، ينظر: **معجم أعلم الإباضية**، ص59.

[2] عوض الشرقاوي، نفس المرجع السابق، ص 110-111.

[3] أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، الجزء الأول، ص89.

[4] نفسه، ص89.

[5] ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر، إبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي، ص22.

ب-سقوط الدولة الرستمية:

لم يكن سقوط الدولة الرستمية حدثا عفويا بقدر ما كان نتيجة حتمية لما وصلت إليه الأمور، من تدهور وانحطاط، لعب الرستميون دورا رئيسيا فيه سياستهم فقد لاحظنا أن الحماس للمذهب الذي على عهد جدهم عبد الرحمان ضعف وانحرفوا على مبادئ المذهب[1].

أما أسباب سقوطها فترجع إلى افتراق كلمة الأمة واختلاف الرستميين فيما بينهم وظهور عدو قوي إلى جانبهم هم الشيعة وقد رأينا كثرة الثورات لأسباب ضعيفة[2].

منها تحطم نفوسة في موقعة مانو سنة 283هـ، خاصة وأنهم كانوا يعتبرون الدرع الواقي لها والمادة العسكرية الأساسية التي كانت وراء كل انتصار أحرزته الدولة الرستمية[3].

وكذلك من أسباب انقراض الدولة الرستمية أربعة الشيخوخة بطول الجد والكد والزمان والانغماس في الحضارة والنعم والطابور الذي كان يهدمها من الداخل والعدو الخارجي القوي الذي هاجمها[4].

---

[1] جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص70.

[2] مبارك محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تح: محمد الميلي، الجزء الثاني، ص87.

[3] دجاز إبراهيم بكير: **الدولة الرستمية 160-296هـ 777-909،دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**،طبعة مزيدة ومنقحة، جمعية التراث، القرارة، ط1 و2، ص129.

[4] محمد علي ديوز: **تاريخ المغرب الكبير**، ج3، ص539.

وبسقوط تيهرت وانقراض الرستميين انتهى حكم بني رستم الذي استمر على ما يزيد عن مائة وثلاثين عاما[1].

2- هروب الإباضية إلى ورجلان* وسدراتة:

كان لسقوط الدولة الرستمية وقع عظيم في نفوس علية القوم والوجهاء من الإباضيين ذوي الغيرة الوطنية، فاهمو على وجوههم يتخيرون لأنفسهم مركزا يأوون إليه فنزلوا مدينة بني ورجلان[2].

ولا يعرف على وجه التحديد الطريق الذي سلكه يعقوب بن أفلح ورفقاؤه، ومهما يكن من أمر فإن الفاطميين لم يغفلوا هذه الهجرة فقد ظلوا متخوفين من فرار هذا الإمام خاصة وأنه توجه إلى ورجلان[3].

فقد بعث أبو عبد الله خيرة رجاله لملاحقته وتصف المصادر الإباضية تصدى الإمام لهذه الحملة فتذكر أنه كان يآزرهم وحده حتى يتعدى أصحابه لما يلحق بهم حتى وصلوا إلى ورجلان سالمين[4].

---

[1] محمود إسماعيل عبد الرزاق :**الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف ق 4هـ**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406-1985،ط2، 233.

* تعتبر مدينة ورجلان من المدن الصحراوية القديمة وكانت في القرن 2 و3 و4 هـ مركزا هاما من مراكز الإباضية في المغرب الأوسط، ينظر: مسعود مزهودي: **الإباضية في المغرب الأوسط**،جمعية التراث، القرارات 1417هـ/1996م، المطبعة العربية، ، المرجع السابق، ص27 29.

[2] حمو محمد عيسى النوري: **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، ج1، ص108.

[3] مسعود مزهودي: **نفس المرجع** ص39.

[4] نفسه.

ومهما يكن من أمر فقد استقبل يعقوب بن أفلح* استقبالا حارا من قبل الشيخ أبي صالح جنون بن يمريمان** متولي أمر ورجلان وأهل مدينته فلما دخل الإمام المدينة أكرموه وأحسنوا إليه[1].

بعد استقرار الإباضية بورجلان أصبحت معقل الدين والعلم والصلاح والتقوى وفد إليها من أقاصي البلاد الإسلامية فطاحل من العلماء المحققين ومن ذوي النجدة والنفوسية فأنجبت عباقرة من المشايخ البارزين[2].

كما استطاعوا نقل حضارة تاهرت إلى سدراتة*** وأقاموا بها بساتين ومزارع ومنشآت ضخمة وقصور بديعة فأصبحت عروس الصحراء تزخر بالعلوم والفنون والصناعات والعمران ونبع فيها علماء فطاحل[3].

---

* **يعقوب بن أفلح:** هو أخو أبي اليقظان، كان يأمل الإمارة بعده كان يعقوب يحمل أنواعا من العلم، وكان أيضا في غاية من مجاهدة نفسه وكان صاحب كرامات، ينظر: مبارك ميلي مرجع سابق ص74 والدرجيني ،مصدر سابق، ص105.

** **أبي صالح جنون بن يمريان** (300-350هـ) عالم ذكي وخفية ذو الورع والسخاء تتلمذ على أبي يوسف يعقوب الطرفي وهو أحد الأبدال وأصحاب الكرامات،ينظر: الدرجيني، مصدر سابق، ج2، ص341.

(1) نفسه، ص40.

(2) حمو محمد عيسى النوري، مرجع السابق، ص111.

*** تقع جنوب ورجلان على بعد 14 كلم من الناحية الغربية أنشأت في القرن 4هـ، فقد خطط هذه المدينة الأمير يعقوب بن أفلح، **ينظر:** بكير بن سعيد أعويشت، **وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية (دينيا، تاريخيا، اجتماعيا)**، ص57.

(3) نفس المرجع، ص107.

3-الإباضية بوادي ميزاب:

تذكر المصادر أن مؤسسة نظام العزابة أبا عبد الله محمد بكر* كان يزور هذه المنطقة قادما من أريغ يدعوا سكانها للمذهب الإباضي والتقى حوله الكثيرون رغم وقوف الواصلية** في وجهه وقتلهم أحد أبنائه[1].

لما تمكن هذا الشيخ من نشر المذهب الإباضي في هذا الوادي انتقلت إليه جموع الإباضية خاصة عندما كثرت الفتن والقلاقل في سدراتة وورجلان[2].

أما بالنسبة إلى الإباضة كعقيدة فلم تظهر في المنطقة إلا مع بداية القرن الرابع هجري بحيث أن أهل المنطقة كانوا سابقا ميالين إلى مذهب الاعتزال[3].

4-علاقات الإباضية بالكيانات السياسية القائمة بالمغرب:

أ- الفاطميون:

اتسمت العلاقات الإباضية الفاطيمية بالعداوة فمن الوجهة السياسية، فالشيعة هم الذين أسقطوا إمامة الظهور ومن الجهة الدينية المذهبية هناك خلاف كبير بينهما[4]، فإذا

---

* **ينظر ترجمته** : الفصل الثاني، ص

** الواصلية تنسب إلى واصل ابن عطاء الغزال (ت 331هـ/748م) رأس المعتزلة، كانت جماعات الواصلية تألف حزبا قوي في الدولة الرستمية. ينظر: محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية، بالمغرب والأندلس، (1601هـ 296هـ)**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، مزيدة ومنقحة، 1408هـ، 1978م، ص119.

[1] مسعود مزهزودي، مرجع سابق، ص60.

[2] نفسه

[3] بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص60.

[4] مسعود مزهودي: **نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (21-442هـ)، (642-1053م)**، ص242.

كان هناك تقارب في العقيدة بينهما حيث يميلون إلى الفكر المعتزلي* في الصفات وخلق القرآن والرؤية، فإنهما يتباينان في الفروع تباينا جوهريا خاصة في مسألة الخلافة[1].

كان موقف الفاطميين من الإباضية سيّئا، نظر للعداوة القديمة بين الفرقتين وهي العداوة التي تعود إلى تاريخ ظهورها ،ومن الطبيعي أن تتفاقم هذه العداوة خاصة وأن الفاطميين هم الذين قضوا على الدولة الرستمية[2].

فقد بالغ الشيعة في تقديس الإمام وحصر الإمامة في آل البيت باعتبارها وراثية أما الإباضية فإنهم لا يقولون بالوراثة رغم ذلك حصروها في آل رستم[3].

1- ثورة مخلد بن كيداد اليفري(ثورة النكارية) (322هـ/933م):

هو مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريمث بن تيقراسن بن سميدان بن يفرن ويفرن هو أبو الكاهنة وينسب إلى جانا بن يحي أبو زناتة كلها[4]، نشأ بتقيوس وليس كذلك إنما كان مسكنه في منزل يلي جهة سدادة وهو

---

* المعتزلة مذهب من المذاهب الدينية والفلسفية في الإسلام، كانت المعتزلة أكثر الفرق الإسلامية حبا للعدل، وتتكون عقيدة المعتزلة من خمسة أصول التوحيد والعدل والوعيد والقول بالمنزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: حسين إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجبل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، ط14، 1416هـ، 1996م، ص342.

[1] نفسه، ص243.

[2] مسعود مزهودي، **الإباضية في المغرب الأوسط**، ص64.

[3] مسعود مزهودي، **جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط**، ص243.

[4] أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري: **البيان المغرب في اختصار وأخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح: بشار عواد معروف، محمد شار عواد معروف، محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس 1434هـ-2013، الجزء الأول، ط1،ص228.

اليوم خال دارس في الجانب الغربي منه كانت مدرسة أبي يزيد على عين ماء هي معروفة بعين النكارة إلى يومنا هذا[1].

وكان سبب ثورته فيما بلغنا أنه توجه إلى المشرق يريد الحج فلما وصل إلى مصر نظر إليه رجل من أهل مصر وقد حلق رأسه من عند الحجام، فقال له غط رأسك أيها الثائر فضربه عليه فلما سمعه أبو يزيد مخلد بن كيداد وقع في نفسه من ذلك ما وقع[2].

ويبدو أن عدم إكرام أبي يزيد من طرف الوهبية ليس هو السبب الحقيقي في تفضيله وتبنيه لآراء النكارية وإنما كثرة مخالطته لهم خاصة وأن بلاد الجريد كانت تضم أعداد كبيرة منهم جعلته يقبل عليهم ويتولى الدعوة لمذهبهم[3].

أطلقت تسمية النكارية على الجماعات التي أنكرت إمامة عبد الوهاب (181-211هـ/878-726م) كما عرفوا بأسماء أخرى مثل "النحوية" لأنهم أكثروا من النحوى في إبطال إمامة عبد الوهاب و"الشغبية" لإكثارهم الشغب في تاهرت والنكاث لأنهم نكثوا بيعه عبد الوهاب بعد مبايعته[4].

أما أعنف ثورة قام بها النكارية فهي ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ابتداء من 322هـ/933م فعندما انتشرت أفكاره وكثر أتباعه أخذ على نفسه بالحسبة على الناس وتغيير المنكر[5] ،ولما بلغ خبره الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (322-334هـ/933-940م) أرسل في طلبه من عامله من قسطيلية وتم زجه في السجن بمدينة توزر ولكنه

---

(1) الدرجيني، مصدر سابق، ص96.

(2) أبي زكريا ويحي بن أبي بكر: **سير الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 و2، 1399هـ-1979.

(3) مسعود مزهودي، **الإباضية في المغرب الأوسط**، ص69.

(4) مسعود مزهودي، **جبل نفوسة** ، ص250.

(5) نفس المرجع، ص252.

تمكن بعد فترة زمنية قصيرة من الفرار بمساعدة أصحابه[1]. فمضى نحو بني درجيثن في الصحراء برملة سماطة رجاء منهم أن يمنعوه وقد كانوا في قوة عظيمة ينتهون إلى ثمانية عشر ألف فارس فيما بلغنا فالتجأ إليهم وطلبهم أن يمنعوه فلم يجد عندهم ما يريد فمضى من عندهم مستخفيا إلى جبل الأوراس[2].

ثم إن عدو الله سار يريد القاسم بالقيروان وكل قرية ومدينة مرّ بها في طريقه خربها وسب ذريتها وغنم أموالها كفعل نافع بن الأزرق وغيره من الخوارج بل قد زاد عليهم وأربى[3] وفي سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة وصل أبو يزيد إلى المهدية ثم نهض إلى سوسة فناوشه أهلها فرفع أبو يزيد عنها ورجع إلى المهدية فلما وصلها دفع حتى ضرب برمحه في بابها[4]. ثم إن أبا يزيد سار من القيروان يريد المهدية فحاصر بها المهدي زمانا طويلا حتى نزل بالرمل التي بباب المدينة[5] ولم يزل محاصرا إلى أن توفي القاسم وولى ابنه إسماعيل فسمع أهل العسكر بوفاة القاسم فسروا بذلك وطمعوا في افتتاح المدينة فبشروا أبا يزيد بذلك[6].

فزحف أبو يزيد ومن معه إلى حد أبواب المدينة فضرب فيها وكان إسماعيل عنده من العلم أن أبا يزيد إذا ضرب في باب معروف من أحد البابين فإنه يخيب وإذا ضرب في الآخر فإنه يظفر ووقع ضربه على باب الخيبة وخيبة الله[7].

---

[1] نفسه، ص252.

[2] أبو زكريا، مصدر سابق، ص178.

[3] نفسه، ص 180.

[4] ابن عذاري، مصدر سابق، ص231.

[5] أبو زكريا، مصدر سابق، ص182.

[6] الدرجيني،مصدر سابق، ص 101.

[7] أبو زكريا، مصدر سابق، ص183.

فنشب القتال فكانت الدائرة على أبي يزيد فانهزم وذكر أن مقته عسكره انهزمت حتى بلغت الهزيمة إلى القيروان ولم يشعر من في المسيرة[1].

كانت نتائج الثورة وخيمة على الإباضية سواء النكارية منهم أو الوهيبة إذ أصبح أصحاب المذاهب يرون في المذهب الإباضي مذهب النهب والقتل خاصة أهل السنة[2]. كما كانت هذه الثورة وغيرها من الثورات سببا في عدم استقرار الأوضاع للفاطميين في بلاد المغرب، أما فيما يخص الحياة الاقتصادية فإن آثار هذه الثورة كانت وخيمة فقد أصيبت موارد الدولة بالإفلاس نتيجة الخراب[3].

2 -الثورة الوهبية:

ترجع أسباب هذه الثورة إلى مقتل أحد علماء الإباضية الوهبية من قبل الفاطميين وهو العالم أبو القاسم يزيد من مخلد الوسياني الحامي(ت358هـ/968م)[4].

حيث عظمت المصيبة فيه عند جميع أهل الدعوة وبلغ فيهم قتله مبلغا عظيما، ولم يجدوا فيه سلوة ولا سمحت نفوسهم بالصبر عن دمه والطلب بالثأر[5].

فاجتمع الشيخ أبو خزر* ومن معه من المشايخ في القيام بأمر الله عز وجل ودفاع أئمة الضلال، إلا أنهم لم يروا أن يشرعوا في شيء من ذلك دون مشاورة أهل الدعوة ولا أن ينهضوا دون استنجادهم[6].

---

[1] الدرجيني، مصدر سابق، ص102.

[2] مسعود مزهودي، مرجع سابق، ص102.

[3] نفسه

[4] مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، ص103.

[5] الدرجيني، مصدر سابق، ص126.

* يغلا بن زلتاف الوسياني (أبو خزر) (ت380هـ، 990م) من كبار علماء الإباضية، برع في علم الكلام وانفرد فيه بآراء متميزة. ينظر: **معجم أعلام الإباضية**، ص477.

[6] نفسه، ص126.

ومن الرسل الذين أرسلوا إلى الجبل لهذا الغرض هو أبو نوح سعيد* بن زنغيل جاء ليستشير أبا عبد الله بن أبي عمروا حاكم الجبل ليطلع على ما يمكن أن تساهم به نفوسة وقد وعده هذا الأخير بتقديم العون رغم ضعفهم بعد مانو[1].

وبذلك عزم الإباضية على الخروج حيث أرسل المعز جماعة من المشايخ إلى الإباضية بطلب منهم أن يعودوا لبلادهم التي تولاها من تاهرت وبلاد الجريد فقبل أبو خزر ذلك، أما العامة رفضت اقتراح المعز وصممت على الانتقام[2].

وبالرغم من الاستعدادات الكبيرة التي قام بها الإباضية للمّ الشمل إلاّ أن أبا خزر تسرع في الهجوم ولم ينتظر وصول عسكر ورجلان فقد نزل على باغايا وحاصرها ثم هزم حاميتها في الثالث والعشرين من شوال **358هـ 968م**[3].

نجد أن فخذا من مزاتة (بنو يليان) انسحب من جيشه بعد أن أغراهم عرض سكان باغاية والمتمثل في حصولهم على مال كثير مقابل الانسحاب وانهزام الجيش وفرا أبو الخزر إلى جبل نفوسة[4].

وكر أبو خزر وأبو نوح وعبود وأمثالهم وكانوا في ساقة العسكر يحمون أواخره حتى قتل منهم خلق كثير ،وقتل عبود وأصحابه فيمن قتل وتفرقت العساكر فوافاهم أبو تميم وقد انهزموا[5].

---

* سعيد بن زنغيل (أبو نوح) (أوائل ق4هـ/10م) يكفيه شهرة وتعريف أنه تلميذ الإمامين الكبيرين أبي القاسم وأبي خزر، وأنه استلم منهم الرسالة وعنهما أخذ العلم حتى بلغ مبلغ الفحول. ينظر: علي يحي معمر :**الإباضية في موكب التاريخ** مر: الحاج سليمان بن الحاج إبراهيم بابزبر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 1429هـ، 2007م، ص539.

(1) مسعود مزهودي، **جبل نفوسة**، ص259.

(2) مسعود مزهودي، **الإباضية في المغرب الأوسط**، ص108.

(3) نفسه، ص109.

(4) مسعود مزهودي، **جبل نفوسة** ، ص260.

(5) الدرجيني،مصدر سابق، ص130.

بينت هذه الثورة مدى تماسك الإباضة الوهبية سواء في بلاد المغرب الأوسط أو إفريقية، كما أن هذه الثورة لم يتم التحضير لها تحضيرا جيدا لأن الإباضية كانت في حالة ضعف لا تسمح لهم بمعاداة الدولة. وقد رأينا أن إباضية نفوسة أعربوا على ضعفهم لكنهم لم يبخلوا بالمساعدة وخيانة مزاتة التي انحرفت عن المذهب الإباضي وعدلت على مساعدة إخوانها بعد أن كانت الساعد الأيمن للإباضية[1].

ب-بنو زيري وبنو حماد:

اتبع بنو زيري في البداية سياسة التسامح مع مختلف المذاهب الدينية الموجودة في بلاد المغرب، ورغم التسامح إلا أن الصراع ظل باقيا بين المذاهب خاصة بين المالكية والشيعة وقد استفاد الإباضية من هذه المهادنة وحظي بعض شيوخ الإباضية الوهبية بمنزلة رفيعة منهم أبو نوح الذي كان المنصور يحسن إليه ويكرم مثواه ويفضله على كثير من جلساته وأصحابه[2]، سافر أبو نوح إلى القيروان فأحسن المنصور إليه وطمأنه بكلام ليزيل خوفه بقوله: "اعلم يا شيخ بأن رمحي وهبي وسيفي وهبي" كما كان مقدم بني درجين في بلاد الجريد مقربا من المنصور[3].

كما كان الإباضية يقدمون الهدايا لأمراء بني زيري رغبة في التقرب منهم واتقاء لشرهم وغضبهم منها الهدية التي قدمها رجل يقال له: "أبو باديس" والمتمثلة في فرس ومهر[4].

---

[1] مسعود مزهودي، مرجع سابق، ص102.

[2] نفس المرجع، ص112-113.

[3] مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص280.

[4] نفسه، ص280.

ويلاحظ أن مرحلة التسامح المذهبي لم تدم طويلا فسرعان ما بدأ بنو زيري في محاربة المذاهب عدا المالكية ذلك أن المذهب المالكي كان المذهب الغالب بينما المذهب الشيعي كان مفروضا على الناس[1].

والمصادر التي تعطينا معلومات على طبيعة العلاقة الإباضية ببني حماد وإذ كان الدكتور عبد الحليم عويس يرى أن ورجلان كانت تقع ضمن حدود دولة بني حماد بمعنى أن هذه المدينة كانت تابعة للدولة فإن المصادر الإباضية تذكر بأن وارجلان كانت تابعة للدولة فإن المصادر الإباضية تذكر بأن وارجلان كانت مستقلة استقلالا تاما يحكمها مجلس شيوخ يعرف بمجلس العزابة فلم تكن وارجلان تابعة لدولة بني حماد ويكون قد حدث ذلك بعد سنة 454هـ/1062م أي في عهد الناصر فقد أرسل ابنه المنصور على رأس جيش تمكن من الاستيلاء على المدينة وولى أحد العمال عليها[1]. كما قام حماد بن بلكين (398-419هـ) (1007-1028م) بحملة على إباضية بني غمرت فخربها وأجلى سكانها منها[2].

ج -علاقات الإباضية بالمغرب الأدنى والمشرق الإسلامي:

أهم ما يميز هذه العلاقات كثرة تنقل الإباضية وعلمائهم بين مواطن إخوانهم سواء لتفقد أحوالهم أو لطلب العلم عندهم وكان العلماء يداومون على زيارة وارجلان وغيرها برفقة تلاميذهم[3].

---

[1] مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، ص114.

[2] نفسه، ص118.

[3] نفسه، ص119.

كما أن رحلات العرضة بين إباضية المشرق وإباضية المغربيين الأدنى والأوسط أشاعت التواصل ونتج عن ذلك الفتاوى والمؤلفات رغم بعد الشقة وخطورة الطريق ووعرة المسالك[1].

وذكر أن أهل هذه الدعوة يتزاورون يزور أهل المشرق أهل المغرب ويزورهم أهل المغرب، فكانوا كذلك زمانا من الدهر، حتى انقطع ما بينهم وكانت الطبقة التي بعد هؤلاء مجتهدين في الحج والجهاد إلى تاهرت[2].

كما أن إباضية المغرب الإسلامي ظلوا يعودون إلى علماء المشرق يستشيرونهم في كل المسائل التي أشكلت عليهم خاصة عندما يتعلق الأمر بخلاف بين أهل الدعوة[3].

---

[1] مقرين بن محمد البغطوري النفوسي: **روايات الأشياخ**، تح: عمر بن لقمان حو سليمان بو عصبانة، مكتبة خزائن الآثار، عمان 1438هـ 2018م، ط1، ص38.

[2] نفسه.

[3] مسعود مزهودي، **جبل نفوسة**، ص420.

الفصل الثاني

نظام العُزابة وأثره في الحياة الثقافية

المبحث الأول: تأسيس نظام العزابة

1-تعريف العزابة

أ- لغة

ب- اصطلاحا

ج- تعريف الحلقة

2-نشأة نظام العزابة .

3- مؤسّسها(أبو عبد الله محمد بن بكر وفعودة للحلقة)

أ-أسرته

ب-قعوده للحلقة

ج-تنقلاته

د-اهتماميه الشيخ بالطلبة وإعانتهم لهم

هـ-أنواع العلوم التي يدرسها

المبحث الثاني: نظام العزابة التعليمي ومهامه

1-مهام العزابة

2-شروط العضوية في العزابة

3-أعضاء هيئة العزابة

المبحث الأول: تأسيس نظام العزابة

1- تعريف العزابة:

أ- لغة: من العزبة، والعزلة والغربة والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال، وحاصل ذلك يرجع إلى سير أهل الحلقة وما يجب عليهم من سير بعضهم على بعض[1].

ب-اصطلاحا: يقصد بها خدمة الإسلام والمصلحة العامة والبعد النسبي عن زينة الحياة لاسيما التفاني وراء المادة ثم الالتزام الكلي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]. وأستعمل لفظة العُزابي لقبائل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير، وحافظ على السير والعمل بها والمحافظة عليها[3]. وهي كل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير[4].

ج- تعريف الحلقة:

اسم لجماعة تشتمل على الشيخ يعلمهم العلم يلقنهم السير ويبصرهم في الدين بحسب ما يفتح على الله على كل واحد منهم، يحصل البعض، وأن أعياه الكل، «فإن لم يصبها وابل فطل، فكأنهم محلقون ولو أنهم مفترقون»[5]. وكلمة الحلقة استعمال ثان يقصد به هيئة العزابة، فهي مرادفة لها، وقد أخذت هذه الكلمة من التحليق وهو الاستدارة،

---

(1) بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص102.

(2) نفسه

(3) حجازي عثمان، **الفكر التربوي الإباضي شمال الإفريقي من القرن الأول إلى القرن العاشر هجري، (95/713م، 927، 1520)ط1**، مكتبة العصرية، بيروت 1421م، ص146.

(4) أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجني، **طبقات المشايخ بالمغرب**، حققه وقام بطبعه إبراهيم خلاي، ج1، 1974، ص03.

(5) الدرجيني، المصدر السابق، ص4.

وذلك أن العُزابة في اجتماعهم الرسمية يجلسون على هيئة حلقة أو دائرة، وهو أنسب وضع لتبادل الآراء، ودراسة وجهات النظر المختلفة[1]، ويقول الدرجيني أول ما أطلق لفظ "عزابي" أيام عبد الله محمدّ بن أبي بكر لما أسس الحلقة ورتب قوانينها لذلك صار هذا النظام يدعى بنظام الحلقة[2].

ويتراوح أعضاء الحلقة بين عشر أعضاء وستة عشر عضوا يوزع عليهم العمل كما يلي:

- **شيخ الحلقة:** يقول أبو عمار الكافي عن شيخ الحلقة بأنه الغوث الكبير، ولذلك تلزمه مهام بينه وبين العزابة، وبينه وبين التلاميذ[3].
- **المستشارون:** ويكون عددهم أربعة لا يزيدون ولا ينقصون، ويلزمون الشيخ ولا يقطع أمرا دون موافقتهم.
- **الإمام:** شخص واحد يقوم بصلاة الجماعة ويحوز أن يكون أحد الأربعة المستشارين[4].

2- نشأة نظام العُزابة:

تعرض الإباضة في بلاد المغرب لعدة نكسات جعلتهم يفكرون في إيجاد نظام جديد، يسمح لهم بالحفاظ على ممارسة مذهبهم بكل حرية، ويقيهم شر الأعداء، هؤلاء

---

[1] علي يحي معمر، المرجع السابق، ص79.

[2] سامية مقري: **التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرسمية إلى تأسيس نظام العزابة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بوجة مجاني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005، 2006. ص 37

[3] علي يحي معمر، مرجع سابق، ص79.

[4] نفسه.

الذين ظلّوا يلاحقونهم في كل مكان يحلون به ، فلم ينجو في البصرة عندما علم الولاة والخلفاء بأخبارهم الذين أسقطوا أي محاولة لإقامة دولة إباضية[1].

لذلك فكروا في إيجاد حلّ بديل يسمح لهم بالحفاظ على مذهبهم، ويقيهم شر الأعداء وكانت تجربتهم الأولى إمامة الظهور وهي آخر مراحل الإمامة، لكنهم فشلوا في تحقيقها لسقوط دولة أبي الخطاب التي قامت في طرابلس وإفريقية. وعادوا بعد ذلك إلى مرحلة الكتمان التي استمرت إلى قيام الدولة الرستمية **160هـ/776م**.

ونجم عن ذلك العودة مرة أخرى إلى إمامه الظهور لتستمر إلى سنة **909م**[2]. وقبل أن نتحدث عن تأسيسي هذا النظام نودّ أن نوضح أصل تسميته بـ "العزابة" . حيث جاء في المصادر الإباضية أن كلمة "عزابة" مشتقة من "العزبة" ومعناها العزلة والغربة والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال ويطلق على الفرد الواحد الذي ينتمي إلى مجلس العزابة اسم "عزابي" وكان أول استعمال لهذه التسمية في عصر الشيخ **أبي عبد الله محمد بن بكر (345-440هـ/956-1048م)** الذي أسس نظام العزابة ووضع له القوانين منذ سنة **409هـ/1018م)** [3].

---

[1] مسعود مزهودي، المرجع السابق ،ص94.

[2] بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص97.

[3] مسعود مزهودي، نفس المرجع، ص96.

3-مؤسّسها(أبو عبد الله محمد بن بكر وقعوده للحلقة):

1- أسرته:

هو أبو عبد الله محمد بن بكر ، ولد بفرسطاء[1]، بجبل نفوسة[2]، وقد حقق عمر النامي في تاريخ مولده بأنه كان سنة **345هـ/956م** ،غير أنّ النصوص لا تذكر عن حياته التعليمية بالجبل شيئا ولا الفترة التي قضاها به[3].

تعلّم على يد الشيخ أبي نوح سعيد بن زنغل وأبي زكرياء فصيل بن أبي مسور[4]، وبلغنا أنه نظر إليه ذات يوم أبا نوح سعيد بن زنغيل رضي الله عنه، توجه نحو القيروان وتعلم بها النحو والعربية، فلما صدر عن القيروان قعد للحلقة[5].

2- قعوده للحلقة:

يعود سبب قعوده للحلقة فيما "حدث به أبو الربيع بن يخلف – رضي الله عنه عن أبي يحي زكرياء بن أبي مسور رضي الله عنه، وذلك أن أبا زكرياء فيصل، أرسل ابنيه زكرياء ويونس وابن أخته أبا بكر بن يحي وغيرهم مهن خرج معهم إلى الشيخ أبي عبد الله، محمد بن بكر رضي الله عنه، فقال لهم أبو زكرياء رضي الله عنه حين أرسلهم إليه أمضوا إليه فإن أنتم وجدتموه، فكونوا معه، ولو في شغل الدنيا، قال وخرجوا من جربة

---

(1) فرسطاء، مدينة في جبل نفوسة بليبيا، **معجم أعلام إباضة**، ص245.

(2) جبل نفوسة، هي سلسلة جبال تقع في المنطقة الشمالية الغربية بليبيا، **معجم أعلام إباضة**، ص260.

(3) أبي زكرياء يحي أبي بكر، **سير الأئمة وأخبارهم**، دار الغرب الإسلامي، المطبعة الأولى 1399، 1979م، الطبعة الثانية 1402هـ.، 1402م، المكتبة الوطنية الجزائرية، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص263.

(4) من أفذاذ العلماء، بجزية جربة في تونس، معجم أعلام إباضة، ص125.

(5) أبي زكرياء، نفس المصدر، ص263.

متوجهين نحوهُ، فلما وصلوا إلى جبال تمولست وجدوا أن ليس بها إذ ذاك من أهل الدعوة"[1].

وكانت حينئذ ليس فيها أحد من أهل الدعوة، فإنهم تغيروا وبدلوا إلى تصلتين عم الفقيه أبي الربيع سليمان بن يخلف، ونساء وأطفال قيل، فعدل الطلبة عنها جانبا وقصدوا الموضع المعروف "بأمدر"[2].

فأخذ أبو القاسم في حفر الغار، فحفروه، فقدم الشيخ أبو عبد الله وتلاميذه وهذا هو السبب الذي قعدت عليه الحلقة. ثم إنه كان من عاداته إذا قعد للحلقة، إذا أختموا وأرادوا القيام أن يدعوا الشيخ بواحد من تلاميذه فيقرأ عليه المواعظ قليلا، فيقوم الشيخ، وعند ذلك، انتقل إلى بني يسل وانتقل معه تلاميذه وكانوا يكابدون مؤونة العيش لأنفسهم واجتهدوا غاية الاجتهاد في عزمهم[3] ثم انتقل الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر إلى ثين إيسلي[4].

هناك رتب الحلقة، وسمي الغار بالتسعي نسبة إلى السنة التاسعة من القرن الرابع الهجري **(409هـ/1018م)** التي أسس فيها هذا النظام بالتعبير الحديث أي نشر الحلقة كما جاء في المصادر[5].

---

[1] أبا زكريا، المصدر السابق، ص263.

[2] الدرجيني المصدر السابق، ص168.

[3] أبي زكرياء يحي، المصدر السابق، ص266.

[4] تين إيسلي، بلدة آعمر قرب توقرت، **معجم أعلام الإباضة**، ص223.

[5] الدّرجيني، المصدر السابق، ص170، في حين علي يحي معمر يقول بأنه يدعى بالتسعري، "كلمة التسعي مأخوذة من تسعة وأربع مئة) على غرار قولهم عبدري في النسبة إلى عبد الدار".

3- تنقلاته:

تورد المصادر بأن أبا عبد الله تنقل إلى مناطق عدة مع تلامذته وأتباعه للتعليم وللإفتاء، وللدعوة للمذهب، حتى أنه لقب بسيدي محمد السائح، فعن أسباب حملة التنقلات هذه التي قام بها أبو عبد الله محمد بن بكر **يقول الجعبيري**[1]، بأنه كان يسعى إلى تكوين رجال عالمين بأنفسهم وذلك بتعويدهم الاعتماد على النفس، وكثرة التنقلات خير دليل على ذاك خاصة إذا علمنا أنهم يقطعون صحاري مترامية الأطراف بهدف أن يعوّدهم على تحمل مشاق الأسفار من أجل نشر الدعوة الإباضية.

فمن بين المناطق التي انتقل إليها، **وادي بني مصعب**[2] التي كان يخرج إليها للحلقة في الربيع طلبا للراحة هو وتلامذته، وكان أهلها واصلية فرد بعضهم إلى الوهيبة[3] وتورد المصادر أيضا أنه تنقل إلى قسطيلية وفي طريقة إلى تمولست[4] عقد مجلسا في المسائل، وعند ما فرغ الرجال من مجلسهم دنت النسوة تسأله كما أورد أبو زكرياء[5].

ثم توجه إلى لماية وعقد بها أيضا مجلسا إذا اجتمع عليه الشيوخ وصاروا يسألونه وبعدها توجه إلى جربه، ومكث بها ما مكث عن بني يهراسن كما يقول أبو زكرياء ثم ذهب إلى تباجالت (بالجنوب التونسي) وبعدها كرّ راجعا إلى أريغ، والملاحظ أن المصادر لا تورد الطريق الذي سلكه عند عودته أو ماذا فعل، كما زار إفريقية وقسم

---

(1) الجعبيري فرحات، **نظام العزابة عند الإباضة، الوهبية**، المطبعة العصرية، تونس، 1975، ص34.

(2) أوبني ميزاب كما هو معروف اليوم، ويقول أصلهم أحمد توفيق المدني ليسو كلهم من قبائل نفوسة وفيهم الكثير جدا من العرب، بكير من سعيد أعوشت، **وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية**، ص90.

(3) أبو زكرياء يحي، مصدر سابق، ص255، الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص ص 183-184.

(4) أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص 256، الدرجيني، المصدر نفسه، ج1، ص184.

(5) المصدر السابق، ص ص 256-257.

أعضاء الحلقة على الأحياء للدعوة بالتأكيد للمذهب ومراجعة المسائل من خلال مجالس[1]، وعند وصوله إلى سلام ليك قال: «ما وجدنا وجهنا ذلك، في حي أو منزل إلا وجدنا من يستفاد منه خيرا أو علما»[2].

كما انتقل إلى الساحل[3]، فمن خلال راوية الوسياني يمكن أن نتصور الأوضاع السائدة في تلك الفترة، إذ يروي بأنه التقى برجل يعرفه كاد أبو عبد الله محمد بن بكر أن يهجره لأسباب عدة، فقد وصف لباسه، ولم يرق له، لأن العزابة كان لهم لباس خاص في تلك الفترة ولا يحبون اللباس الفاخر، إذ جاء في الرواية «...كنت في حلقة زائرين من الدعوة في الساحل وخرج إليهم الناس من بعض القرى[4] وفيهم رجل من تلاميذ الشيوخ وعرفته لبس كساء حشميا[5] وفي رحله شماشق قليعة وفي يده مزراق يرفعه ويضعه، وعلى رأسه شاشية حمراء فصافحوهم وأدخلوهم المنزل وقد عولت على هجرانه"[6].

ويضيف الوسياني فيما رواه عن أبي عبد الله مما زاد صنفه أنه أدخل عليهم رجالا من الجبابرة ثم إن الرجل المذكور أدخلنا بيننا وأدخل إلينا رجالا من أعوان الجبابرة"[7].

---

(1) أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص ص 257-258.

(2) نفسه، ص 258.

(3) الساحل: تطرق ثيودوز لفيتسكي في مقاله لهذه المنطقة، وعن زيادرة أبي عبد الله إليها، بنظر: **وثيقة إباضية حول هجرة أهل جبل نفوسه**، تر، تع، أحمد بوعيش بكير، ط1، مطبعة معهد الحياة، القرارة 1974، ص ص01-17.

(4) هكذا كتبت، ولربما يقصر القرى (جمع قرية).

(5) الدرجني، المصدر السابق، ج1، ص05.

(6) لأبي الربيع سليمان، عبد السلام بن حسان الوساني: **سير الوساني**، وزارة التراث والثقافة، الطبعة الأولى، مسقط، سلطنة عمان، ج1، ص67.

(7) نفسه، ص 67.

4- اهتمام الشيخ بالطلبة وإعانتهم لهم:

وذكر أبو زكرياء أن الشيخ كان كريما بالطلاب وكان يقول: «منزلة التلاميذ كشجرة الخروب» يعني أنه لا ينبت حول الخروب نبات، فإن نبت كان ضعيفا[1]، وكذلك ما كان حول منزل التلاميذ، فإن يكون اهتمام أهله لما يصلح شأن التلامذة، فجهدهم مكابرتهم، وأطافهم والقيام بمؤونتهم، وكان به رحمة الله يخاطب بذلك أهله[2]. وحشمة، ليكون لهم من الاهتمام بأمورهم والقيام بحقوقهم، ما لا يكون عند غيرهم من ذلك، فيقتفون آثاره ولا يستعظمون ما ينفقون من جانب التلامذة[3]، وما يخرج من مصالحهم، وكان رحمة الله عليه يخرف الدنانير بالدراهم، ويجعل الدراهم في القراطيس، والصرر، ثم يعلقها في ألواح التلامذة وربما يجعلها في أوعية دفاترهم، وربما يجعلها بين التلاميذ وبين ثيابه، وهم لا يشعرون، وكل ذلك منه رغبة في كتمان الصدقة[4].

5-بعض ما ذكر من كرامات الشيخ:

من خلال ما أورد عنه الدرجني أن "أبو عبد الله بن بكر، رحمه الله، الطود الذي تضاءلت دونه الأطود، والبحر الذي لا تقاس به الثماد بين أهل المذهب والمشهور بالبركات، وصنوف فضائل أبي عبد الله أكثر من أن تحصى لكن أذكر منها ما تيسر فمن كراماته أنه أضاف جماعة من أهل الخير والصلاح، فمن ينبغي معه الاحتفال وممن لا يقابل بالحال وكانت غنم الشيخ في مرعاها بالبادية[5].

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق،ج2 ص363.

[2] نفسه، ص 363.

[3] نفسه، 363.

[4] نفسه، ص363

[5] الدرجيني، المصدر السابق، ص377.

ويحضر ما يسنى به طعام أضيافه، ولا وجدوه له بوجه الشراء، فقال لهم أنظروا العريش هل فيه شيء أم لا وكان في داره عريش فنظروا العريش هل فيه شيء أم لا ولا كان في داره عريش فنظروا العريش، فإذا فيه كبش عظيم، فجهزه به ضيافة أضيافه"[1].

ومن كرامته ما ذكر الفقيه أبو الربيع رحمة الله قال: كنت عنده ذات يوم وحوله عمال يعملون فقدم لهم يسرا ليأكلوه، فقال لي يا سليمان، فامتنعت، فقال كل يا سليمان، أن مبدأ من يطاوع المشكور الحال، محمود الخلائق، فأردت أن أقول ولو فيما لا ينبغي، فأمسكت فاطلع على ما كتمت، وكوشف بما عنه سترت فقال لي: يا سليمان ذلك ليس بمطاوع فنطق به قبل أن أظهره له"[2].

ومن تواضعه ما ذكر ياجر بن جعفر قال كنا في حلقة أبي عبد الله نقرأ عليه، فكان العزابة أرادوا كنس الغار فكنس معهم الشيخ أبو عبد الله وجعل يرفع مهنا الكناس على عاتقه فقال له يوما بغضا وهو ينقل معنا[3]. أقعد يا شيخ فإن العزابة يكفونك، قال أو يحملون على ذنبي؟ فكان يرفع قليلا قليلا جهد طاقته، فقلت له أرفع إذا أكثر من هذا فقال لو كان رأيك يؤخذ لأخذنا به أذقنا وكان أبو الربيع إذا شبه الشيوخ وضرب بهم المثل قال إنما مثل أبي عبد الله[4].

6-أنواع العلوم التي يدرسها أبو عبد الله محمد بن بكر:

من خلال الروايات التي أوردتها المصادر عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر نستطيع أن نستخلص أنواع المجالس التي كان يعقدها، والعلوم التي كان يدرسها، يقول أبو زكرياء بأن مجالس أبي عبد الله أكثرها في التخويف والتحذير سبق وأن ذكرت عن

---

[1] الدرجني ، مصدر سابق، ج2،ص378.

[2] نفسه.

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ص392.

[4] نفسه.

تنقلاته تلك التي قادته إلى أماكن عدة فأينما حل عقد المجالس والحلقات، رد فيها عن المسائل والفتاوى التي قام بها إليه الناس عامة، أو المتعلمين بهدف التعلم[1]. ويورد الدرجيني رواية مهمة تدل على أن أبو عبد الله محمد بن بكر رحمه الله أسس قواعد السيرة وله فن تأليف كثيرة، وأكثرها الحجج والبراهين لأنه كان فيها ركن الأركان[2] وحفظ عنه في الأخلاق حكم قد خلدت في بطون الأوراق وله الدعوات التي ترتجي وتتقي عواقبها وله أصول الدين والفقه وذكر عن أبي يعقوب شيخ كان بنفوسة أمسات، أنه كان مقصدا للمبتدئين[3] فإذا انتظموا في حلقته علمهم السير وآداب الصالحين، ثم ينقلهم إلى محمد بن سودرين فيجرون قراءة القرآن ويتعلمون اللغة والإعراب[4]. ثم ينتقلون إلى أبي عبد الله بن بكر فيعلهم أصول الدين، والفقه، فكان العزابة في ذلك الزمان يشبهون الشيوخ الثلاث بثلاث نجارين أحدهم يحسن قطع الخشب من الشعراء والثاني يشقها وينشرها، والثالث يركب الألواح ويسمرها فيما يصلح بين الأدوات[5].

فسمع "بتصلتين" بقدومهم وعدولهم عن موضعه فساءه ذلك، وأقبل إليهم ورغب كل الرغبة، وسأل منهم الرجوع إلى تموسلت فلم تكن منهم إجابة واعتدوا بكونهم عاجلين وكونهم خلفوا منزله [6].

وأنه لا يلزمه تضييفهم، ولا تعلق به من هذا نقيصه، فلما رأى بتصلتين امتناعهم من إجابة سؤاله، قال لهم أما أن فعلتم ما فعلتم فإني لم يبق لي ولا لمن معي رجاء يعلق

---

[1] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 356.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص377.

[3] الدرجيني، ج2، المصدر السابق، ص145.

[4] نفسه، 145.

[5] نفسه، ص145.

[6] الدرجيني، مصدر سابق، ص168.

به وسأرجع إلى الموضع فأخذ بأيدي النساء والأطفال ونرجع إلى أهل الخلاف[1]. ثم إنهم كلموا الشيخ أبا عبد الله أن يقعد لهم في الحلقة، فأبي لهم ذلك وامتنع ومكثوا يراودونه ما شاء الله فأبا عليهم حتى كادوا أن بيئوا منه وبلغنا أنهم قعدوا معه ذات مرة قدام مسجد المنية يراودونه ويطلبونه إذ خرج رجلان من تيقيوس، شيع أحدهما صاحبه وهو يريد طريق العامة[2]. فلما افترقا نادى أحدهما صاحبه وقال: اسمع يا فلان قال، فالتفت إليه وقال: أجعلها الله أفمن جعلها الله تضيع فلما سمعوا تلك المقالة تفاءلوا بها وعطفه ذلك عليهم، فأجابهم على ألا يسأل ويجيب حتى تمضي أربعة أشهر ومكثوا في ثيقوس ما شاء الله (وهو) لا يسأل ولا يجب وكان ذلك في السنة التي تحركت فيها زناتة مع منهاجة من ناحية طرابلس وهي تسمى (سنة) هزيمة الأبراج وكثرة الزلازل في الأرض، حتى أصبح لا يستقيم لهم شيء[3] فقال لهم الشيخ الخير، فهل لكم أن تنقبوا إليهم، وهم بنو مغراوة[4] فأجبوه إلى ذلك مسرورين مغتبطين فأرسل الشيخ إلى أبي القاسم بن ورقونا لويلي ومن معه، يعلمهم بقدومه إلى ناحيتهم وأن يهيئوا له غارا يجتمع فيه التلاميذ للحلقة والعزم[5].

---

[1] الدرجيني، مصدر سابق، ص168.

[2] أبي زكرياء يحي، مصدر سابق، ص165.

[3] نفسه، ص165.

[4] مغراوة ريغ، هي نفسها أريغ، أبي زكرياء، مصدر سابق، ص265.

[5] نفسه، ص265.

المبحث الثاني: نظام العزابة التعليمي ومهامه.

أ- مهام العزابة:

كانت تربية النشء المهمة الرئيسية التي أنشأت العزابة من أجلها ولكن مهام العزابة تطورت مع تطورات العصر ومتطلباته، حيث طور **أبو عمار عبد الكافي** في القرن السادس الهجري هذا المهام وبلغ النظام أوجه مع الشيخين أبي القاسم بن يحي الدادي، والشيخ أبي القاسم بن يحي في القرن التاسع الهجري وأصبحت مهام العزابة تشمل مختلف مناحي الحياة وهذه المهام هي:

1- المهام الدينية: يمثل مجلس العزابة مهام الإمام، ويقوم بجميع مهامه ما عدا إقامة الحدود التي تعطلها الإباضية في الكتمان حتى لا يستعدوا السلطات الحاكمة[1].

2- المهام الاجتماعية: يحرص مجلس العزابة على تنظيم العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراد المجتمع ولا يمكن ذلك إلا بمواكبة تطوره ومشاكله وتطلعاته، وتغلغل مجلس العزابة في نسج المجتمع الإباضي، وغير العمود الفقري لكل المظاهر الاجتماعية، وتجلب المشاركة الاجتماعية لمجلس العزابة[2].

3- المهام الاقتصادية: يتدخل مجلي العزابة في تنظمي شؤون المجتمع ذات الطابع الاقتصادي المتمثلة في : مراقبة البيع والشراء في الأسواق، محاربة الانحراف في التعامل التجاري مثل الغش والاستغلال والاحتكار.

---

[1] عبد الرحمان عثمان حجازي، المرجع السابق، ص151.

[2] علي محمد الصلابي: **الإباضة مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج**، الطبعة الأولى، 2018، 2019، ص605.

الإشراف يوميا على عمليات الذبح والسلخ ليضمنوا سلامة الشياه صحيا وأن الذبح تم وفق الطريقة الشرعية الإسلامية وإن هذه المهام الاقتصادية هي من طلب مهام المحتسب في الإسلام، والتي يطلق عليها في المذهب الإباضي الطلبة أو حلقات العزابة[1].

4-المهام السياسية والإدارية: تتولى حلقة العزابة تسيير شؤون السياسية والإدارية في المجتمع الإباضي وتعتبر هيئة العزابة أعلى هيئة قيادية في المجتمع الإباضي، لما تتمتع به من صلاحيات واسعة وسلطة فعلية.

5- المهام التربوية والتعليمية وأهدافها: إلى جانب نظام الحلقة السياسي، وضع نظام تربوي تعليمي تابع له، يمتاز بنفس الدقة والإحكام، ويتكون من شيخ كمدير عام والعرفاء وهم: عريف تعليم القرآن، وعريف أوقات الدراسة، وعريف الختمات وأوقات الثوم، وعريف الطعام والنقباء والطلبة[2] ورغم التكامل والتداخل الشديد بين المهام التربوية والتعليمية فسنحاول رسم الحدود الرفيعة بينها من خلال دراستنا للمهام التربوية والتعليمية وأهدافها كل على حدا.

أ- المهام التربوية وأهدافها: قام الإمام أبو بكر عند تأسيس لنظام العزابة سنة **409هـ/1018** باستبعاد الثورات والقيام بدولة، من أذهان الناس استبعادا كاملا[3].

ب- المهام التعليمية وأهدافها: ويقوم بها الشيخ ونائبه فالشيخ هو المسؤول الإداري عن التعليم في حلقة العزابة، أما العرفاء بمثابة الطاقم الإداري التربوي في الحلقة، وينقسمون، عريف، وهو عريف أوقت الختمات والنوم وعريف .....، وعريف منفرد،

---

[1] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص606.

[2] صلاح الدين شعباني: **التربية والتعليم عند الإباضة بالمغرب الإسلامي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (9-11م)** راسلة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف مختار حساني، كلية التاريخ، جامعة الجزائر، 2003، 2004م، ص 165.

[3] نفسه.

وهم العرفاء حملة القرآن، وعريف أوقات الدراسة وهذا النوع الثاني من العرفاء يزيد عددهم وينقص حسب الحاجة[1].

ب-شروط العضوية في العزابة.

يشترط في أعضاء العزابة عدة شروط وهي: أن يعتزل العوائق الدنيوية وأول ما يتخلى عنه حلق الشعر ولا يتركه يطول[2]، ويشترط أن يكون فيه أربع خصال، الأولى أن يكون كبيسيا أدبيا، الثانية: أن يكون مستمرا في طلب العلم الثالث: لا يكثر دخول الأسواق الرابعة: يغسل جسده بالماء ويغسل قلبه بماء وسدر[3]. أما الجسد فيغسله من الدنس من الناس وأما القلب فيغسله من الغش والتكبر وما أشبه ذلك مما يوجب حبه العمل ويباعد نفسه عند الدخول في الأسواق والقعود في الجماعات والتهفهف بين الناس.

- وكذلك أن يكون هذا الشخص بالغا مسلما؛
- أن يكون أخلاق إسلامية أصالة وسلوكا؛
- أن يكون متزوجا بالضرورة، وأن يكون رب عائلة بالاختيار؛
- أن يكون حافظا لكتاب الله عزوجل؛
- أن يكون نظيف القلب واللباس ومحافظا على الرأي الرسمي للعزابة؛
- أن يكون مضحيا بالنفس والنفيس في سبيل إعلان كلمة الحق وشريعة الإسلام. وهذا لا يتأتى إلا من خلال استمرارية التعليم وشغفه في العلم؛
- ويقول **أبو عمار عبد الكافي** لا يدخل أي شخص حلقة العزابة إلا إذا توفرت فيه هذه الخصائص الأخلاقية[4].

---

[1] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص606.

[2] البرادي، المصدر السابق ص227.

[3] سدر: شجر النبق الواحدة، جمع سيدرات، سدرات، **الفيزوز، معجم أعلام إباضية، ج2، ص45.**

[4] بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص103-104.

- أن يمر بمراحل الدراسة مرحلة مرحلة، ويستوفي الدراسة فيها؛
- أن يكون محبا للدراسة راغبا فيها مواصلا للتعلم والتعليم؛
- أن لا يكون له مشاغل دنيوية كثيرة تحمله على كثرة التردد على الأسواق، والاختلاط بالعامة والسوقة، اختلاطا يزري بمقامه ويذهب بهيبته[1].

ج -أعضاء هيئة العزابة:

تتكون هيئة العزابة من اثني عشر عضو، وقد يزيد العدد لتزايد المهام كزيادة المحاضرة والمساجد ليصل إلى أربعة عشر عضوا أو أكثر، لكل عضو في الهيئة خليفة يكون مرشحا لتوالي المهمة في حالة غيابه أو موته أو البراءة منه، وكل عضو أو مجموعة أعضاء لهم وظائف معينة[2].

- شيخ الحلقة هو أكبر المناصب في نظام العزابة؛
- إمام الصلاة؛
- المؤذن؛
- شيخ الحلقة، وإمام الصلاة، والمؤذن، وأقدم بقية الأعضاء نجدهم يتولون الحل والعقد في المجتمع، فهم لا يتركون مناصبهم حتى يتوفاهم الله وعند موت أحدهم يحل مكانه أقدم الجماعة أو خليفة في العضوية[3].

أما عن مهام كل عضو من أعضاء مجلس العزابة فهي كالتالي:

---

[1] علي يحي معمر، **الإباضة في موكب التاريخ**، مكتبة الصامري للنشر والتوزيع، طبعة الثالثة، سلطنة عمان، (142هـ/2007م)، ص81-82.

[2] مسعود مزهودي، مرجع سابق، ص 207-208.

[3] نفسه

1- شيخ العزابة: يكون أكثرهم علما وذكاء وأقدرهم على حل المشاكل الاجتماعية وهو الذي يتولى الإرشاد والتوجيه ويبلغ كذلك المقدرات التي اتخذتها هيئة العزابة إلى عامة الناس في المجال الاجتماعي.

2- المؤذن: إنه يقوم بالآذان وضبط أوقات الصلوات الخمس والصوم والإفطار والأعياد الدينية.

3- الإمام: وهو الذي يؤم بالمسلمين في الصلوات الخمس ويلقي عليهم خطبة الجمعة وفي أغلب الحالات يكون هذا الإمام نائبا لشيخ العزابة[1].

4- وكيلات لأوقاف المسجد: إنهما مسؤولان على أوقات المسجد والمقابر فهما يسعيان إلى جلب المنفعة وصيانة أوقات المسجد وبالتالي دفع كل ما يضر بمصالح المسجد.

5- المعلمون: يكون عددهم بين ثلاثة وخمسة أعضاء وهم مسؤولون عن نظام المسجد وعن شؤون المحاضر القرآنية نظاما وتربية ودراسة.

6- المسؤولون الاجتماعيون: هم الأشخاص الذين يقومون بغسل الموتى ومراقبة وصاياهم وتقييم تركاتهم على حسب أحكام الإسلام، وقد يزيد عددهم على خمسة أعضاء[2].

وإذا توفي شخص وهو في براءة المسلمين بأن مات على معصية فإن هؤلاء العزابة لا يقومون بحقوقه، لأن العاصي لاحق له المؤمنين ولكنهم يسمحون لمن شاء من غير أعضاء الحلقة أن يقوم بتلك الحقوق ذلك أن القيام بأمور الميت فرض على الكفاية إذ قام به البعض أجرى عن الباقين[3].

---

[1] بكير بن سعيد أعوشت، نفس المرجع، ص105.

[2] نفسه.

[3] علي يحي معمر، نفس المرجع، ص81.

7- المستشارون: وعددهم أربعة أشخاص لا يزيدون ولا ينقصون، ورأيهم ملزم للشيخ، ولا يقطع أمرا دون موافقتهم[1].

د-هيئة لباس العزابة:

كان مما رتبه أبو عبد الله بن بكر الفرسطائي في نظامه هيئة ولباس خاص للعزابي يجب أن يحلى بهما كما يقول الدرجيني: "فمنها أنه أول ما يتجرد من طريقه أهل الدنيا بحلق شعر رأسه ثم لا يتركه يطول أبدا، ومنها أن لا يلبس ثوبا مصوغا إلا البياض ولا بأس بعلم الطرفين والطراز ما لم يتفاحشا[2] ثم إن اقتصر على عباءة أو ملحقة لم يشنه ذلك، ولم يعبه بل ذلك به أليق، وإن لبس ذلك على قميص كان أكمل، ولا سبيل على اقتصاره على قميص أو قميص دون اشتمال أو التحاق أو ارتداء، وإن اعتم فالتحلى على ما جاء في الأثر[3] وإن اعتم فالتحى على ما جاء في الأثر، وليس لبس العمامة بضربه لازب، لا بأس باستغنائه عنها وإن اقتصر على العباءة أو اللحاف غطا رأسه، وألقى الطرف الأعلى من هذب الحاشية من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر لا يلقي الهدب كله من الجانب الأيسر فإذا ذلك مؤد إلى انكشاف العورة"[4].

هـ- تقاليد العزابة وآدابهم: تطرق **الدرجيني** إلى آداب يجب أن يتجلى بها العزابي مثل:

- أن ينصرف إلى مواضع لا يكره الانصراف إليها كمواضع المياه والأشجار والأماكن التي تنفتح النفوس.

---

[1] عبد الرحمان عثمان حجازي: **تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي من القرن الأول حتى القرن العاشر الهجري، (95هـ/713)، (928هـ /1520م)**، الطبعة الأولى، 1421هـ -2000م المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت. ص 145.

[2] الدرجيبني، نفس المصدر، ص171.

[3] نفسه.

[4] البرادي، نفس المصدر، ص226.

- يكره الانصراف من الطرقات والأسواق وإن دعت الضرورة فيكون في وقت لا يزن فيه ريبة[1].

والعريف المتكفل بأوقات الطعام له حدود يقف عندها وأشياء متسع فيها وذلك أن الطعام لا يخلو أن يكون في موضع مألفهم، أو خارجا، فما كان خارجا لا يخلوا أن يكون في محل عرابي[2] أو في مجل دنيوي فإن كان في محل دنيوي حفر عليهم كل الحفز في ملازمة التحفظ وإفراط الحذر[3]، وبما أن أعضاء مجلس العزابة هد القدوة في المجتمع الإباضي فيجب على العزابي التحلي بالآداب التي تسمح له بممارسة مهمته الجديدة منها أن يتفرغ تفرغا تاما لهذه المهمة ويجب ألا يشغله أهلهُ وأولادهُ ومالهُ عن مصالح المسلمين[4] لأنه أخذ الميثاق مع أصحابه، كما يجب عليه ألا يلتفت لأهل الدنيا، ولا يكثر من الاجتماعات معهم، ولا يجلس في الأسواق والأماكن العامة، ويحق له الجلوسفي داره أو في المسجد أو حلقه، وأن يتجنب رؤية ما لم يحله الله ولا يستمع لكن أهل الدنيا وأن لا ينسى أنه باع نفسه إيمانا واحتسابا لذلك يجب عليه الاجتهاد في طلب العلم والأدب[5]. وجعل الشعار بينهم حسان أو حسان بن ثابت أي أحسن آدابهم وأخلاقهم وهي كلمة يقلونها مهما دخل عليهم غير الضف تحذيرا أن يطلع على ما يعيبونه عليهم، وإن كان في محل عزابي لم يتحفظون كل التحفظ بل يميلون إلى ضرب من الإدلال وينبسطون بعض الانبساط ويحسنون الظنون، فلا يتحشمون في اقتراح طيب الطعام

---

[1] سامية مقري : **التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرسمية إلى تأسيس نظام العزابة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بوجة مجاني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005، 2006. ص 40.

[2] الدرجيني، المصدر السالف، ص175.

[3] مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص213.

[4] نفسه.

[5] نفسه.

وازدياد الأدم، ونحو ذلك مما يتعلق بالعريف[1] ومما يتعلق بالعريف في كلا المحلين أن يرتب جلوسهم فإن غاب أحد نهاه وأوصاه فإن عاد فالخطة، فإذا اعتدل جلوسهم دعا بالماء وغسلوا بعد استمالهم السملة المعروفة عند حضور الطعام وهو أن يخرج طرفي ثوبه على مدري بعد أن يدير كل طرف فوق العاتق الذي يليه، فيبرز اليدين ولا يكشف شيئا من البدن ثم يأكلون أكلا معتدلا[2].

هـ-مقر العزابة:

كان أول مقر للعزابة هو الغار ومنه انبثقت تنظيماتها حيث وضعها مؤسسها "أبو عبد الله محمد بن بكر" ورتبا قوانينها[3] وكانت الغيران مقر لدراسة الكتب والتعليم وعجّ نمار آجلو الشرقية بالغرب الذين كانوا يؤمنونه للدراسة[4] بل التعليم في القيروان يرقي إلى عهد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، كما كانت حلقة العزابة تنشأ في مواضع بالجبال، فأصبحت مأوى لهم لتلقى العلم والتدريس، وذلك كله خوفا من الذين يعارضنهم أو يعادونهم ويلاحقونهم فبتشرون منهم حتى لا يثيرهم عليهم[5].

فلما صارت الدعوة تنشر، والأتباع يكثرون، واستأنسوا أنفسهم الأمان والقوة والاطمئنان بعد فترة الخوف والنزاعات والفتن أمرهم أحد المشايخ لما زار العزابة في آجلوا ببناء مسجد والخروج من الغيران التي صارت لا تتسع لهم فصار من وقتئذ المسجد هو

---

[1] البرّادي، المصدر السابق، ص227.

[2] نفس المصدر، ص229.

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، 1974، ص169.

[4] أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، **السير**، ط1، ، 1407، 1978، المفتى العالم لسلطنة عمان،ج 1،ص389.

[5] لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني، **سير الوسياني**، الطبعة الأولى، 2009/1430 ، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان،ج1، ص81.

المقر للحلقة، ويعتبر الشيخ عبد الرحمان ابن معلى أول من أسس بمسجد "توقرت" الحلاقة وأنهج طرقها وحجر على تلاميذته أرقتها وحقق قوانينها[1].

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ص170.

الفصل الثالث

المؤسسات التعليمية والعلوم المتدارسة عند الإباضية

المبحث الأول: النظام التعليمي والمؤسسات التعليمية عند الإباضية

1-المؤسسات التعليمية

2-مراحل التعليم

المبحث الثاني: أنواع المعارف والعلوم المتدارسة

أولا- العلوم النقلية

- التفسير
- الحديث
- الفقه
- كتب في الفقه وأبرز علمائها

ثانيا- العلوم العقلية

- علم الكلام
- اللغة والنحو
- النثر
- الشعر

ثالثا- العلوم العقلية

- الطب
- الحساب
- علم الفلك والتنجيم

المبحث الأول: النظام التعليمي والمؤسسات التعليمية عند الإباضية

تعددت وتنوعت مراكز ومؤسسات التعليم عند الإباضية خاصة بعد استحداث نظام العزابة.

1- المؤسسات التعليمية:

مما لا شك فيه أن طلاب العلم كانوا يدرسون في مساجد على أيدي كبار الإباضية أصول الدين والشريعة والرياضيات، حيث ساهمت المساجد بدورها في ازدهار الحياة العلمية[1]، وبالتالي يمكن اعتباره من أهم المؤسسات التعليمية خاصة مع الدور التثقيفي والتعليمي الذي كان يقوم به إلى جانب إقامة الشعائر الدينية.

أ- الكتاتيب:

حدد دور الكتاتيب على النحو التالي: تعليم الصلاة والأم ربها لسبع سنين ويضربهم عليها لعشر حيث كانوا يعلمون الصبيان مبادئ وعقائد الإيمان وفروع الشريعة ويستخبرهم كيف وضوئهم وصلاتهم وبذلك أقره عليه وإلا علمه ما بقي عليه[2] ومما جرت به العادة تعليمهم أسماء الشهور العربية والعجمية في الكتاتيب وتلقينهم القنوت والتشهد، وإقراؤهم تلقينا من (سبح اسم ربك) إلى آخر القرآن ينتفع به من كتب الله، كما أن أهل البادية كانوا يلقّنونهم الشهادتين والأسماء الحسنى[3].

ولعل هذه الطريقة مازالت متداولة إلى حد الآن في الكتاتيب، وبنفس الوتيرة بالنسبة للصبية الذين لم يبلغوا سن الرشد، وقد أشار أبو زكرياء إلى الكتاب، وذلك عندما أشار إلى أحد الإباضين، الذين انشقوا عن المذهب وقال بأنه أدخلهُ أبوه في الكتاب فقرأ

---

[1] حجازي عثمان، **الفكر التربوي الإباضي، شمال الإفريقي من القرن الأول إلى القرن العاشر هجري**، (95هـ/713م، 927، 1520)، الطبعة 1، مكتبة العربية بيروت، 1421هـ، 2000، ص 131.

[2] نفسه.

[3] نفسه.

وحفظ[1] وكان يعتمد في تلقين الدروس على لوح من خشب وأدوات، بحيث يكتب على الألواح القرآن بواسطة الداواة، وبقيت متوارثة إلى حد الساعة، كما وجدت أيضا بوارجلان وأريغ هذا الأخير الذي كان يقصده كبار العلماء والطلبة لأخذ العلم فقد كان عبد الله محمد بن بكر يسأل أبا نوح بمحراب هذا المسجد عن عدة مسائل ،ولعل مر حلة التعليم الابتدائي في الكتاب هي أرضية ممهدة ومساعدة لمهمة المساجد حيث قال أبو زكرياء...فقرأ وحفظ، فلما اشتد وبلغ العلم، سولت له نفسه طلب العلوم[2].

ب- المكتبات:

تقوم المكتبات بدور ريادي في تنشيط عجلة الفكر النير والعلم المتوفد وتغذية الحركة العلمية ودفعها إلى الأمام، ولعل هذه المكتبات، كانت نتائج عمل وجهد الأئمة ومن بينهم عبد الوهاب، حيث أنه بعث ألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق، أن يشتروا له بها ورقا، فنسخوا له أربعين جملا من الكتب، وبعثوا بها إليه فلما جاءته نشرها وقرأها[3].

ج- حلقات التعليم في المساجد:

لم تكن دُور القرآن الكريم هي الأماكن الوحيدة لتعليم أطفال الإباضية، بل أدت المساجد، في أماكن تواجدهم دورًا بارزًا في هذا الشأن حيث ابتغى الإباضية لأنفسهم مساجد خاصة يقيمون فيها شعائر الصلاة، ويدعون لمذهبهم، ويستمعون من كبار مشايخهم للوعظ والإرشاد[4]، وفي بعض المناسبات كان الخطباء يذكرون استبداد الحكام

---

[1] فطيمة مطهري: **مدينة تيهرت دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3هـ/8-9)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف معروف بلحاج، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009،2010، ص 37 .

[2] نفسه.

[3] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص27.

[4] حجازي عثمان: **المرجع السابق**، ص133.

واستشارهم بالسلطة دون بقية المسلمين، وكانت دور القرآن الكريم مخصصة للأطفال بين السادسة والحادية عشرة أو الثانية عشر من العمر، وفيها يتلقى الصبيان دورسا في القراءة والكتابة والحساب وبعض الشعر، كما يتعلمون فيها الوضوء والصلاة والصيام والواجبات الدينية التي لا يجوز لمسلم أن يجهلها[1].

وكان بعض الصبيان في هذه الدور يحفظ القرآن الكريم وإن لم يكن إلزاميا ويشرف على دُور القرآن معلمون من أتباع المذهب الإباضي ممن عرفوا بالتقوى والورع والأخلاق الحميدة، ليكونوا قدوة حسنة للأطفال الذين سيصبحون فيما بعد، رجال الدعوة وحماتها[2].

2- مراحل التعليم:

وكان التعليم مقسما إلى ثلاثة مراحل وهي:

أ- مرحلة التعليم الابتدائي: ويشمل تحفيظ القرآن والمبادئ الأولى للفقه يتعلم فيه التلاميذ الصغار عن طريق الألواح، أي أنه يقتصر على الكتاتيب ويخص الأطفال والصبيان.

ب- مرحلة التعليم الثانوي: ويشمل العقيدة والفروع والأدب، يعتمد فيه الطالب على الكتب وهو النوع الثاني الذي يأتي مباشرة بعد النوع الأول وهو ما يتأكد من نص أبي زكرياء عن أبو عبد الله الشكاس: فنشأ الغلام فلما احتمل الأدب أدخله أبوهُ في الكتاب، فقرأ وحفظ، فلما اشتد وبلغ الحلم سولت له نفسه طلب العلم[3].

ج- مرحلة التعليم العالي: ويشمل التبحر في مختلف العلوم وخاصة العقيدة وفروع الفقه، وكانت مواد الدراسة تشمل علوم التفسير والحديث والفرائض والأموال والفروع وعلم اللسان

---

[1] حجازي عثمان: **المرجع السابق**، ص133.

[2] نفسه.

[3] أبو زكرياء يحي بن أبي بكر: **سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العربي،المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص134.

وعلوم النحو، وكان طلب العلم في هذه المرحلة بالرحلة إلى المشرق حملة العلم الخمسة[1].

وكان التعليم المذهبي، أو ما يصح أن يطلق عليه الدراسات العليا أو المعمقة في المذهب الإباضي، يتم بعيدا عن أنظار المخالفين الذين كانوا يعتبرون الإباضية معادين للدولة، ويجب القضاء عليهم، ولذلك كانت أماكن تلقي الدراسات العليا في الأماكن الظليلة التي تقيهم حرّ الشمس في الصحراء والبعيدة عن أعين الأعداء، وكانت هذه الأماكن[2].

1- تحت الأشجار:

يذكر الدرجيني أنه بالموقع المعروف "بأتيجان" من الجزيرة، هناك شجرتان من الخروب عظيمتان، فكان جلوس طلبة الفقه عند الشجرة القبلية منها طلبة الأصول عند الجوفية.

2- تحت العريش:

كان إذا كثر عدد التلاميذ، ولم يعد ظل الأشجار يستوعبهم، فإنهم كانوا ينتقلون إلى عريش عملوه عند عيون تمولسة فكثروا واجتهدوا وحسنت أحوالهم فكانوا في برحال إلا أنهم لحقهم خوف من العرب فإن الموضع الذي هم به هو ممر الأعراب، إذا رحلوا من طرابلس إلى إفريقية، أو متى رجعوا والطلبة بهذا في حذر[3].

---

[1] صالح باحبة: **الإباضة بالجريدة في العصر الإسلامي الأولى**، إشراف الدكتور علي الشابي، الطبعة الأولى، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ص 179.

[2] حجازي عثمان، مرجع سابق، ص135.

[3] نفسه.

3- في الغار:

وإذا ازداد عدد التلاميذ وخوفا من أعين الجنود، كان الطلبة ينتقلون اجتماعاتهم للدرس في غار هناك، ثم إذا كثر الطلبة فضاق عليهم الغار فانتقلت منهم جماعة إلى غار آخر، فكان الشيخ ليلة عند هؤلاء وليلة عند هؤلاء[1].

المبحث الثاني: أنواع المعارف والعلوم المتدارسة.

عرفت الإباضية علوما تداولت عندها العلوم النقلية (كالتفسير والحديث والفقه، وكذا العلوم العقلية كالنحو والأدب العربي بما في ذلك النثر والشعر، حيث لازم الدولة جو المناظرة والجدل ووجود المذاهب المختلفة التي تدعوا إلى مثل هذا الأسلوب إضافة إلى بعض العلوم التطبيقية كالطب والحساب والفلك وعلم التنجيم، كما برز علماء أجلاء في مختلف مجالات العلوم والفنون[2].

أولا- العلوم النقلية:

أ- التفسير:

كان اهتمام العلماء المسلمين بالقرآن الكريم كونه المصدر الأول للتشريع الإسلامي إليه المرجع في إصدار الأحكام، ومن هنا فقد تفرغ بعضهم لتفسيره قصد تسيير وتسهيل فهمه على العرب، وبما أن المجتمع الإباضي كما لاحظنا ذلك في التركيبة الاجتماعية فإن معظم الجنس كان احتياجاتهم أكبر إلى فهم ما جاء في القرآن الكريم[3].

وفي الواقع أن حلقات الوعظ والتدريس ومجالسها لا تخلو من الشرح لألفاظ القرآن الكريم والتفسير لآياته خاصة الآيات المتعلقة بالأحكام ذات الممارسة اليومية كالصلاة

---

[1] حجازي عثمان، مرجع سابق، ص135.

[2] الباروني سليمان بن الشيخ عبد الله النفوسي: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضة، مصر، مطبعة الأزهار البارونية**، بدون طبعة وبلا تاريخ، ص209.

[3] إبراهيم بحار بكير، **الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، نشر جمعية التراث بغرداية، مزيدة ومنفتحة 1414هـ/1993م، ص198.

والصيام والزكاة والحج وغيرها، وبما أن الأمر يتوجب ترجمة إلى اللغة العربية حتى يستوعب السواء الأعظم من الناس ما جاء في القرآن الكريم[1].

ومما يدل على اهتمام علماء الإباضية بالتفسير ما قام به لواب بن سلام بتفسير جزء من سورة الشورى في كتاب شرائع الدين وتعرض إلى أحكام حجاب المرأة في قوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن**﴾[2] وقد أولى إباضية عناية خاصة بالتفسير لحاجاتهم الماسة إليه في فهم القرآن الكريم، وقد برع فيه أبو المنيب محمد بن يانس وهو الذي تكفل بعلم التفسير في مناظرة الواصلية في تاهرت[3].

وقد تحدث ابن يانس عن نفسه قائلا أتخذت تفسير القرآن كله عن التفات وعلمته عنهم إلا حرفا واحد أو حرفين فإن اضطررت أجد مخرجا وتشير هذه الرواية إلى مبلغ علم ابن يانس في التفسير رغم وجود مفسرين غيره ولكنه أفضلهم[4] لقد كان اهتمام العلماء المسلمين به كثيرا وكونه المصدر الأساسي والأول للتشريع الإسلامي، ونظرا لما ورد في الترغيب فيه النصوص الشرعية كقوله تعالى: ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**﴾[5].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿**كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله**

---

[1] إبراهيم بحار بكير، المرجع السابق، ص 198.

[2] سورة الأحزاب، الآية 59.

[3] مسعود مزهودي: **جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، (21-442هـ)، (642-1053م)** مكتبة الضامري للنشر والتوزيع الأولى 1431هـ/2010م، سلطنة عمان، ص397.

[4] عوض الشرقاوي: **التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين،** دون طبعة، حقوق الملكية الفكرية، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011، ص147.

[5] سورة الحشر، الآية 21.

ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله﴾. ومن هنا فقد تفرغ بعضهم لتفسيره، قصد تيسير وتسهيل فهمه على العرب، لأن نزوله بلغة العرب لا يعني أن كل العرب يفقهون أحكامه ومعانيه ولأن فهم أي كتاب لا يتوقف على اللغة وحدها إنما يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق ودرجة الكتاب في رقيه[1].

ب- الحديث:

عرف الإباضية بروايتهم للحديث عن شيوخهم بالمشرق منهم حملة العلم الخمسة بالإضافة إلى هؤلاء ذكر ابن الصغير أبو عبيدة الأعرج الذي كان يأتي إليه ليسمع منه كتاب إصلاح الغلط وهو تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة[2] ولعل النقص في المصادر التي تتحدث على مؤلفات الإباضية في هذا العلم دال على عدم الاهتمام الكبير به، فتراجم وسير العلماء لا تأتي على ذكر المحدثين إلا قليلا، ولعل ذلك راجع إلى أن تعدد المذاهب في تيهرت جعل الفقه يحظى بالاهتمام الكبير في بيئة تميزت بالمناظرات الفقهية والكلامية ومع ذلك تشير هذه المصادر إلى أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258م) له روايات في الحديث[3].

ولعل أبرز كتاب إباضي في الحديث هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي الذي كان على اتصال بعلماء المغرب، وقد اعتمده الإباضية في الحديث وأولوه عناية كبيرة واعتبروه سندا صحيحا، وهذا المسند يحتوي على أربعة أجزاء: الأول تناول فيه أحاديث

---

[1] أحمد أمين: **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة 11، 1979، ص 196.

[2] ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي، بها مولده ويقال له الدينوري لأنه كان قاضي الدينورو توفيسنة 270هـ، له كتاب "إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث"، **االنديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق)، ضبط وشرح يوسف علي الطويل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص58.

[3] فطيمة مقري، **التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرسمية إلى تأسيس نظام العزابة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بوجة مجاني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005، 2006. ص 79.

الوحي وذكر القرآن والعلم والولاية والصلاة والزكاة والطهارات، أما الثاني فقد ضم سبعة وخمسين بابا تناول فيه أحاديث الحج والجهاد والطلاق والأحكام، أما الثالث فقد ضم أحاديث احتج فيها الربيع خصومه كحجة تكفير أهل الكبائر ككفر النعمة أما الجزء الرابع فضم روايات محبوب بن الرحيل عن الربيع وروايات الإمام أفلح عن غانم بشير الخرساني، ومراسيل جابر بن زيد[1].

كما اعتمد الإباضية فيما يخص بعلوم الحديث على مؤلفات المشارقة كديوان جابر بن زيد الذي نسخه نفاث بن نصر في بغداد، وكتاب مختصر ابن محبوب الذي وصل منه واحد فقط إلى الجبل وهو الجزء السادس على الرغم من أن الديوان يتألف من سبعين جزءا وكتاب الخليل الصالح لمؤلف مجهول والذي كان المصدر المعتمد عليه[2] وآثار الربيع عن ضمام عن جابر رواية أبي صفرة عبد الملك بن صفرة، ومدونة أبي غانم الصفري التي نسخها عمروس بن فتح عندما قدم أبو غانم من المشرق زائر وقد حاول علماء المذهب في الجبل تأليف الكتب في علوم الحديث مثل عمروس بن فتح الذي عزم على أن يعلق تأليفا في الفقه لم يسبق في طريقته عزم أن يفرق العلم إلى ثلاث أوجه التنزيل والسنة والرأي وما يتعلق بكل واحد منها من المسائل فيرتب كل باب من أبوابه وبينه على القواعد الثلاث[3].

ويبدو هذا الفراغ في مصنفات الحديث لعلماء إباضيين، هو الذين دعا أبا عبيدة الأعرج التيهري، العالم الفقيه بالكلام والوثائق والنحو واللغة إلى دراسة كتب غير الإباضية التي كانت من مخلفات العديد من رواة الحديث. نذكر منهم أبا عبد الرحمان

---

[1] الشماخي، المصدر السابق،تحقيق أحمد بن مسعود السبابي، ، 1407-1987م، دون طبعة سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ج1،ص155.

[2] مسعود مزهودي، مرجع سابق، ص 397.

[3] مسعود مزهودي، نفس المرجع السابق، ص398.

بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل التيهري[1] الذي يعد من أشهر علماء الجزائر وأدبائها في هذا العصر عالما بالحديث إماما صدوقا حافظا للحديث أخذ العلم من بلده ثم ارتحل إلى القيروان فأخذ عن صاحب المدونة سحنون سعيد وقد أخذ الحديث عن بكير العديد من العلماء[2] ومن المحدثين أيضا أبو سعيد بحيج بن خداش ثوزري، توفي بنفزاوة سنة 296هـ/909م، وقد روى الحديث عن محمد بن سحنون ويظهر أن معظم هؤلاء المحدثين كانوا قد رحلوا إلى القيروان لتلقي العلم من شيوخها والمؤلفات في هذا الباب شبه معدومة إلا ما كان قد استعين به في التفسير، وهي طريقته هو محكم السالف الذكر أن نفاثا بن نصر قد أتى معه بنسخة من ديوان جابر بن زيد الأزدي من بغداد وهو مؤلف يعتقد أنه في الحديث، لما كان يسمعه جابر عن الصحابة منهم بن عباس يذكر الدرجيني أن مدونة أبي غانم احتوت على جملة من الأحاديث[3]. كما جاء اهتمام إباضة جبل نفوسة بالحديث بمثله في شخص عمروس بن فتح النفوس أحد علماء القرن الثالث الهجري عندما عزم على أن يفرز بين مسائل النص ومسائل السنة ورأي المسلمين وإرجاع كل مسألة إلى الأصول الثلاث وإن هذا العزم الذي أراد عمروس تحقيقه ما هو إلا فرز للعلوم ومصادر التشريع في الإسلام بحيث أن عمروس لو قدر له وضع كتب في وجه المذكور لوضع للحديث[4].

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الأنصاري المعروف بالدبّاغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق، محمد ماضور، ومحمد الأحمد أبو النور، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة، ج1، ص281.

[2] الدباغ أبو زيد، نفس المرجع السابق، ص281.

[3] الدرجني، المصدر السابق، ص10.

[4] عوض الشرقاوي، مرجع سابق، ص148.

ج- الفقه:

هو معرفة الحلال والحرام واستخراج الأحكام من أصولها الشرعية أو على حد قول ابن خلدون «هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والخطر والندب والكراهية والإباحة[1]»، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قبل لها فقه ومن خلال المقارنة بالتعريف السابق نبين أن الفتية بجبل نفوسة بلغت مبلغا كبيرا حتى قيل أن جبل نفوسة فشى فيه العلم حتى أنها لا تحتاج فيها دار إلى أخرى في العلم ولذلك صب الإباضية جبل نفوسة جل عنايتهم بهذا العلم[2]، وهو ما أطلق عليهم اسم الفقهاء ومنهم ابن مغطير الجناوني الذي أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة قبل حملة العلم إلى المغرب فضلا على أنه كان شيخا فقيها امتد به العمر حتى عاصر الإمام عبد الوهاب وحضر مجلسه عندما مكث بالجبل سبعة أعوام[3]. وكذلك اشتغل الشيخ بن الخلف المنبور بالزناد الوارجلاني، وعظه يوما فقال أقلع عن هذه الأشعار فقد أكثرت، وانتقل بالفقه، فقال مرتجلا:

دعا بفقهك يا ابن يخلف إنني رجل غدا بفؤادي الأشعار إن التفقه والتنسك والتقي أنساك ذكر الخرد الأبكار ولا أقول أن هذا في الزناد مجون أو نقلته مما عبد عنه لسان شجون بل إنما حنيته إلى الأدب فجعل له صفات الحجون[4].

وكان القاضي عمر بن غزوة النفطي يقول له ما رأيت مثل على بن يخلف من الناس، فمن عجيب ما رأيته منه أن أبا القاسم بن العمودي كان من مشايخ الفقه قدم من توزر ومعه طلبته، فلما رآه ابن العمودي قال له من هذا الجالس معنا قلت هذا الفقيه أبو

---

[1] عوض الشرقاوي، مرجع سابق، ص148.

[2] نفسه.

[3] نفسه.

[4] الدرجني، ج2، المصدر السابق، ص515-516.

الحسن[1]، فمكان الإباضية في هذا الباب ربما كان في الشريحة التي تقع بين أهل الظاهر والحنابلة من جهة والحنفية من جهة أخرى ورغم أن المذهب الإباضي نشأ في العراق إلا أنه لم يذهب مع الرازي إلى المذهب الذي بلغه الحنفية والمعتزلة ويكفي لإيضاح هذه النقطة أن يعرف القارئ الكريم أن الفقه الإباضي يعتمد من حيث الأدلة بعد القرآن الكريم[2]. في مجال السنة على التواتر والمشهور أو المتفيض وعلى الأحادي وفي مجال السنة على التواتر المشهور وعلى مرسل الصحابة والتابعين وإذا تعارض الحديث والقياس رجح جانب الحديث ولو كان أحاديا أو مرسلا للطبقة السابقة ولا بد الحديث الأحادي إلا إذا صادمه دليل قطعي، ويقول بالقياس والاستصحاب والمصلحة المرسلة على التفاصيل[3]، والمناقشات الطويلة المعروفة في كتب أصول الفقه.

1- السلوك:

يتمسك الإباضية بجمع أنواع السلوك والأخلاق التي أمر بها الإسلام ومن مظاهر ذلك.

1- يرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب في الحدود التي يبينها الحديث الشريف[4].

2- يرون أن محبة المسلمين في الله من أجل طاعتهم وبغض العصاة والكافرين في الله من أجل معصيتهم واجب على كل مسلم، وأن هذه المحبة يجب أن تتوجه إلى جميع أولياء الله في جميع الأزمنة والأماكن على الإجمال[5]، وأن يقصد إلى من ثبتت ولا يتهم

---

[1] الدرجني، ج2، المصدر السابق، ص515-516.

[2] نفسه.

[3] محمد صالح ناصر: **مكانة الأباضة في الحضارة الإسلامية**، الحلقة الثانية، إعداد محمد صالح ناصر، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م دون نشر ص10.

[4] نفسه.

[5] محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص11.

الله بالاسم أو بالصفة ممن مضى، وأن يتعامل مع الحاضرين ممن يعرفوهم على هذا الأساس، كما يجب أن يبرأ من الكافرين والعصاة في جميع الأزمة والأمكنة هكذا على الإجمال أن يقصد ببراءته من عرف بالاسم أو بالصفة أن يتعامل مع الحاضرين ممن يعرفهم على هذا الأساس، أما من عرفهم في زمانه ولم يعرف أحوالهم من الطاعة والمعصية فيجب عليه أن يقف فيهم لا يتولاهم ولا يبرأ منهم حتى يعرفهم بيقين لأن الولاية والبراءة عند الإباضة لا تلزم إلا باليقين كالمعرفة الشخصية أو شهادة العدلين ولا تبطل إلا بيقين[1].

3- يرون أن جميع المسلمين يتساوون في الحقوق والواجبات ما عدا شيئا واحد وهو الدعاء بخير الجنة وما يتعلق به فإنه حق خاص للمتولي أي للمسلم المتوفي بدينه الذي يستحق الولاية[2].

ويعتبر جابر بن زيد أهم شخصية في الفقه الإباضي، كونه حلقة الوصل بين الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهُ من طبقات المذهب الإباضي، ويرون أن آراءه واجتهاداته في الحديث والفقه كانت قاعدة لمذهبهم الفقهي الذي لم يأخذ شكله النهائي إلا على يد أبي عبيدة مسلم والربيع بن حبيب الفراهدي، وعنهم نقله حملة العلم إلى شمال إفريقيا وبثوا تعاليمه بين مختلف التجمعات الإباضية[3].

ويعتبر ابن مغطير الجناوني من جيل نفوسة أول من تلقى العلم بالبصرة على يد أبي عبيدة مسلم، وظل مرجع الفتوى بالجبل حتى عودة حملة العلم الخمسة الذين أمروه بالتكفل عن الفتوى، ليقع طبع الفقه الحياة العلمية في تاهرت وارجلان والجنوب التونسي وجربة وجبل نفوسة وغيرها من معاقل الإباضية في المغرب الإسلامي[4]، ومنهم أيوب

---

[1] محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص11.

[2] نفسه، ص11

[3] صلاح الدين شعباني،المرجع السابق.

[4] بحار إبراهيم، المرجع السابق، ص311.

الجطالي أخذ في ابتداء القراءة عن عمنا إسماعيل فسافر إلى جربة تحول عند الشيخ أبي ساكن الشماخي الذي أراد قراءة كتاب أصول الفقه الذي ألفه أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجيلاني فقال الشيخ اقرأ غيره حتى تصل إليه، وله مجلس عظيم وكان متقيا شديدا في الأمر والنهي وكان حزيما لدنياه وأخراه يجترف على طلبته من الوصايا وغيرها[1] ومنهم أبو محمد عبد الله و أبو عبد الله محمد فكان شيخا نظم الفقه شعرا أو لم أر من اشتغل به لاشتغال الناس بالدعائم وقصائد الشيخ أبي نصر[2]. ومن مشايخ إباضية جبل نفوسة أيضا خاصة من علماء الطبقة الخامسة (200،250 هـ) أبو زكرياء التركيني كان علما لكل الفضائل فسألوه عن علمائه فقال لهم، الجبل هو أبو زكرياء هو الجبل ويكفي دليلا على غزارة عمله أنه اختبر من جميع مشايخ نفوسة في وقت امتلأ فيه الجبل بالعلم والعلماء الفقهاء[3].

وكان ضمن الفقهاء المعاصرين لأبي زكرياء أبي مرداس مهاجر السدراتي الذي كان شديدا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكان يتبع الأمراء يأمرهم وينهاهم ويشير عليهم[4].

وتسند في ذلك إلى إحدى زياراته إلى تاهرت حين سمع رجلا يدعو آخر إلى الحق فلم يجب دعوته وأعرض عنه فجاء أبو مرداس إلى دار الإمام وأخذ يضرب بابها بالحجارة ويقول «بهلة الله اليوم على من سكن هذه البلدة"»[5].

---

[1] الدرجيني، ج2، المصدر السابق، ص201.

[2] نفسه، ص201

[3] عوض الشرقاوي، المرجع السابق، ص149.

[4] نفسه.

[5] نفسه.

كتب في الفقه وأبرز علمائها:

ومن التآليف المهمة في الفقه التي ظهرت عند الإباضية "ديوان الأشياخ" الذي اشترك في تأليفه عدد من العلماء، ونشر المصادر إلا أن أبا عمران موسى بن زكرياء المزاتي الدمري كان السبب في التأليف، وتولى كتاب أجزائه ويتألف هذا الشعر الضخم من ستة أجزاء صغيرة وثلاث كبيرة في الفقه الإباضي[1]. جزء خاص بالطهارات وجزء في الصلاة، واختصت الأجزاء الباقية في الصوم والزكاة والحج والأحكام، وهذا الجزء الأخير مقسم إلى ثلاث أجزاء صغيرة، يبدأ الجزء الأول منه بيان التنزه عن أجر القضاء وينتهي باب الدعوى أما الجزء الثاني فيبدأ بباب الإقرار وينتهي بباب ضمان الحاكم أما الجزء الثالث وهو خاص بالإيمان[2] إلى جانب هذه الموسوعات الفقهية توجد كتب أخرى، وقد أحصى البرادي مؤلفات إباضية المغرب نذكر منها:

1- كتاب عمروس بن فتح وله كتاب آخر يعرف "باللفظ".

2- هود بن محكم الهواري: التفسير (هو عبارة عن تفسير للقرآن الكريم في سفرين كبيرين).

ومن تأليف المتأخرين منها الإيضاح للشيخ عامر بن علي في ثلاث أسفار في الفقه رأيته وقرأته، وللشيخ إسماعيل بن موسى القواعد في سفر وشرح قصيدة أبي النونية المعروفة بالعقيدة في ثلاث أسفار ووقفت عليها[3].

---

[1] مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص248.

[2] نفسه، ص147.

[3] البرادي، المصدر السابق، ص236.

ب- العلوم العقلية:

1- علم الكلام:

يعرفه ابن خلدون بقوله «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة»[1]. وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد، فلنقدم هنا لطبقة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق والمأخذ ثم نرجع إلى تحقيق علمه فيما ينظر ويشير إلى حدوثه[2] وعلم الكلام أو أصول الدين أم علم التوحيد هو حسب قول ابن خلدون (ت 1406/808) علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات الإيمانية[3]. وهو حسب البرادي (ق8-14/9-15) النظر في العقائد القطعيات وما لا يحل الاختلاف فيه من الاستدلال بالأدلة العقلية والسمعية في أصول الاعتقاد وتثبيتها[4].

ومسائل علم الكلام كانت هي أهم المحاور لتكون المذاهب وتمزيق شمل المجتمع، وتضليل وتفسيق جوانب كاملة من الأمة الإسلامية، والتي أضاع فيها علماء أجلاء أوقاتا ثمينة من إعداد البراهين وما تستلزمه[5]. نجد الأمة الإسلامية بمذاهبها المختلفة متفقة على أصول العقائد وأن أولئك العلماء الأجلاء المتضاربين بالبراهين والإلزامات هم الآخرون متفقون على جميع الأصول[6]. فأولى الإباضيون عناية خاصة بعلم الكلام والتفنن في أساليب الرد والجواب نظرا لوجود خلافات وتباين في الآراء بعض مسائل بين

---

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، ص373.

(2) نفسه، 373.

(3) فرحات الجعبيري، **البعد الحضاري للعقيدة الإباضية**، حقوق الطبع محفوظة، ت المؤلف 1408-1987، دون طبعة، دون نشر، ص92.

(4) نفسه، ص92.

(5) محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص16.

(6) نفسه، ص16.

أتباع المذهب الواحد فظهرت النكارية والخلفية والنفاثية وأصحاب يونس وسيم النفوسي التمزيني بالإضافة إلى الواصلية والشيعة[1] ولذلك فإن الحركة الثقافية امتازت بكثرة الجدال والمناظرة فتعددت مجالس المناظرة وكثرت المؤلفات في هذا الصنف في العلوم، وأقبل الطلبة على حلقات علم الكلام وتخصص العديد من العلماء فيه كمهدي النفوسي وأبي نوح سعيد بن زنغيل الذي يصفه الدرجيني بقوله «كان عالما بفنون المناظرات والرد على أصحاب المقالات». كما كرس أبو نصر التمصمعي حياته لمناظرة النفاثية، فقد دار في الجبل أربعين مرة يحذر الناس من فتنة وقيل من فتنة خلف[2]. كما سكت أيضا عن النزعة الدفاعية الآنبة أعتبره علما تحصليا ينفع في كل زمان لتثبت أسس الاعتقاد، وإن كانت المصادر الإباضية الأخرى تذكر قضية دفع ....بصفة مطلقة مثل المحشى والمصعبي[3].

ويشير أن نذكر أن المصادر الإباضية تكتفي بذكر أربعة من هذه القضايا أحيانا إلا أنها تصل بها إلى عشرة غلبا وهي التوحيد، القدر، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، ألا منزلة بين المنزلتين، والأسماء والصفات، والأمر والنهي، والولاية والبراءة، والأحكام[4] تلك هي محاور النزاع الفكري والدامي أحيانا بين مختلف الفرق الإسلامية وعليها مدار علم الكلام[5] ونذكر السيد أن أبا محمد عبد الله بن بانوح من علماء الطبقة التاسعة (540/400هـ) قال ندمت على ثلاث فائتي من الدنيا قراءة كتاب الحالات وهو كتاب في كلام عظيم الشأن وزيادة أهل الدعوة وحضور مجالس أبي عمران موسى بن زكرياء وظل علماء الوهبة في الفترة التي تؤرخ لها يحاجون الفرق المحالفة فقد كان

---

(1) مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص 398.

(2) نفسه.

(3) الجعبيري، المرجع السابق، ص93.

(4) نفس المرجع، ص95.

(5) مسعود مزهودي، مرجع سابق، ص399.

عمروس بن فتح من الذين تصدروا النفقات بن نصر رفقة مهدي النفوسي الذي اشتهر أنه كان "أحد من مكايد نفاث بن نصر النفوسي ومنع انتشار بدعة في الأفاق"[1].

2- اللغة والنحو:

يقول ابن خلدون «أركان العلوم اللسان العربي أربعة وهي اللغة والنحو والأدب والبيان ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة كلها في الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها الصحابة والتابعين عرب، شرح مشكلاتها من لغتهم فلذلك كان النحو أهم من اللغة، إذ في جعله الإخلال بالتفاهم جملة، وليس كذلك اللغة»[2].

تعتبر اللغة العربية من أغنى اللغات السامية وأرقاها، لأنها تتميز بكثرة المفردات، وتتصف بالمرونة والقدرة على صياغة المشتقات من ألفاظها مع السهولة التعبير الدقيق في إطار من الجزالة وسمو البلاغة وسحر البيان، بفصل غني اللغة العربية وقوتها وقدرتها على الاشتقاق والبحث واللفظ المعبر استطاعت أن تكون أداة التعبير في حضارة سادت خلال العصور الوسطى[3] إن اللغة العربية دخلت إلى شمال الإفريقي عن طريق مختلف الحمدات الإسلامية والبعثات العلمية وبفضل من كلن ينتقل من البربر المسلمين إلى المشرف للتعلم مثل حملة العلم الخمسة[4] وإن تمكن الدين الإسلامية من نفوس الإباضيين جعلهم يتطلعون إلى معرفة هذا الدين بفهم أهم مصدر له (الكتاب) والسنة

---

[1] مسعود مزهودي، مرجع سابق، ص399.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص475.

[3] فطيمة مطهري، **مدينة تيهرت دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3هـ/8-9)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف معروف بلحاج، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009،2010، ص 37 .

[4] صالح باجيه، المرجع السبق، ص 157.

وذلك يقتضي فهما اللغة العربية شيئا فشيئا، وإن طبيعة اللغة وصرامة المذهب الذي اعتنقوه وتصرفهم فيها في النواحي العلمية التي تخص العقيدة والفروع الخاصة[1].

وبعض الذين أتقنوا اللغة العربية من إباضة الجريد بعد القرن الرابع الهجري نراهم يميلون إلى الكتابة باللغة البربرية لأنها لغتهم وهي أسهل عليهم نراهم يميلون إلى الكتابة باللغة البربرية لأنها لغتهم وهي أسهل عليهم أو يكثرون باللغة الدراجة، ألا وهي عربية سيكون فيها تسامح كبير وربما تكون فيها كلمات عربية أو أخذت الصباغة العربية[2].

وتؤكد المصادر الإباضية اهتموا بالأدب فقد كان الربيع سليمان بن زرقون ممن برع في الأدب وعلم اللسان وكانوا أبو القاسم أبو خزر يعلمان الطلبة علوم العربية بالإضافة إلى العلوم الأخرى، في حين ن محمد بن سدرين الوسياني كان يكثر في حلقاته من دروس النحو[3].

احتضنت تيهرت أقواما عديدة، وتعددت فيها اللغات،، وكانت اللغة العربية الشريفة هي اللغة الرسمية بها يخطب أئمتها ورؤساء الدولة وعمالها في صلاة الجمعة والأعياد، وبها يلقون دروسهم على التلاميذ وبها يغطون العامة في وقت الوعظ والإرشاد[4]. وكانت اللغة العربية هي لغة التأليف، فجل ما كان بمكتبة المعصومة العامة بتيهرت من كتب كان باللغة العربية، وما وصلنا من كتب تلك العهود ككتاب (نوازل نفوسة) الإمام عبد الوهاب، كان باللغة العربية الفصحى ومن الكتب التي ألفت بعد الدولة الرستمية كتفسير

---

[1] صالح باجيه، المرجع السبق، ص 157.

[2] نفسه، ص 159.

[3] مسعود مزهودي، مرجع سابق، ص 401.

[4] محمد على دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، الطبعة 1963، مؤسسة ثاقالت الثقافية، 2010، ج3، ص362.

الشيخ هود بن محكم الهواري كان باللغة العربية، لقد كانت العربية هب اللغة العلمية[1]. وكان العلماء ولوعاظ والمرشدون يحثون الناس على تعلم اللغة العربية وكانوا يرونها أعظم الفنون، وأقدس العلوم، ترى اللغة العربية أساس الدين ومفتاح العلوم فتتمسك بها تمسكها بالدين[2].

أما النحو في البصرة والكوفة في القرن الأولي الهجري على يد أبي الأسود الدؤلي الذي وضع قواعد اللغة العربية ويقال إنه تلقى أصول هذا العلم عن أبي طالب رضي الله عنه[3]، والدوافع التي اقتضت الاهتمام بهذا الجانب هي كثيرا من الموالي الفرس كانوا يختلطون بالعرب فتعرضت العبارات إلى اللحن في المنطق وحتى لا يتعرض القرآن الكريم للتحريف كان لابد من تقويم اللسان بوضع قواعد تحفظ سلامة النطق[4].

ومن علماء النحو المشهورين منهم أبو عمران موسى بن أبي يوسف أخذ العلم من الشيخ أبي ساكن عامر، كان محققا فريد الدهر في علوم النحو، وكان بها قرأ العلوم من النحو والبيان والمنطق والأصول، كانت منزلته في علوم درجته في علم وكانت طلبته بها ومن أخذ منه يفتخر على غيره[5]، وذكر أنه اختلف مع بعض الأشباح بها في مسألة النحو فاحضر في إثباتها ما يقارب على عسكرين شاهدا من أشعار العرب ثم انتقل إلى قرية من نفوسة وأقام بها إلى أن توفي في شوال عام أربعة وتسعين وثمان مائة فكل

---

[1] محمد على ديوز، المرجع السابق، 363.

[2] نفسه،

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ص487.

[4] إبراهيم بحار، المرجع السابق، ص353.

[5] الشماخي، ج2، المصدر السابق، ص202.

كلامه علم مع سرعة لسان أن سألته عن مسألة، فإن النحو فعشه الذي يعرف كيف يدخل فيه ويخرج، وأما اللغة والتصريف فيها للعجب[1].

3- النثر:

يقول ابن خلدون "وأما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا، ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا، ولا يقطع فيها أجزاءًا بل يرسل إرسالا من غير تفسير بقافية ولا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم، وأما القرآن وإن كان من المنثور إلا أنه خارج من الوضعين وليس يسمي مرسلا مطلقا ولا مسجعا، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يكاد الكلام في الأبة والأخرى بعدها، ويثني من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية وهو معنى قوله تعالى: «**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم**»[2].

إن النثر عند الإباضة كان أكثر الجوانب اهتماما من الشعر وهو مجموعة من الخطب والوصايا والرسائل الديوانية وأقاصيص تعلمية وحكم وأجوبة، ومن بين تلك الرسائل الديوانية نأخذ نموذجا رسالة الإمام عند الوهاب إلى نفوسة في مسألة خلق بن السمح الذي قفز إلى منصب ولاية بعد وفاة أبيه الذي كان يشغله بدون إذن إمام[3] ونرى من إباضي الجريد من يسمو إلى مرتبة الأدب في النثر (القرن السابع الهجري) كما أبي العباس الدرجيني في كتابة الطبقات، وقد ألف الدرجيني ديوانا لو وصلنا لعرفنا مدى

---

[1] الشماخي، ج2، المصدر السابق، ص202.

[2] سورة الزمر، الآية، 23.

[3] فتيحة قرواز: **الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية، (260-296هـ/777-909م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، إشراف ميلود ميسور، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2011، 2012م.

شاعرية هذا الرجل (والدرجيني) وأبوه (سعيد) أشعر من جد الأول (أبي الربيع سليمان) وقد أثبت صاحب كتاب الطبقات نماذج من الشعر والنثر يمكن عدها من أدب إباضية بمنطقة الجريدة وما حولها[1].

والنثر لدى الإباضة كان أحسن حظا من الشعر، فترى التراكيب سليمة بل تصل الكتابة أحيانا إلى مستوى الأدب الرفيع، متماشيا مع النثر العربي مواكبا له في تطوره مع العصور، ولعل هذا يرجع إلى كثرة ممارسة النخبة من البربر بالشمال الإفريقي للنثر العربي أكثر من أعلاهم على الشعر والعناية به لأن طبيعة المذهب الإباضي تعتبر الشعر ملهاة[2]، بينما النثر يجدونه ويتأثرون به في كتب الدين المحببة والمفضلة عندهم عما سواها وفي القرآن الكريم وفي مطالعتهم لكتب التفسير والحديث وكتب السير وعلى سبيل المثال أورد نماذج قليلة من النثر العربي للبربر من كتاب منطقة الجريد وهذا عيسى بن يرصوكسن المعروف بـ (الطرفي) وكذلك (أبي صالح الورجيلاني)، نرى نثرا فيه حكم ويكاد يخلو من المسحة الأدبية، فهو أشبه ما يكون بالنثر الصحفي الجاف الخالي من الرونق[3].

4- الشعر:

يعرفه ابن خلدون بقوله "هو فن كلام العرب... وهو في لسام العرب غريب النزعة غرير المنحنى، إذ هو كلام مفصل قطعا متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا، ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه، رويا وقافية، ويسمى حملة الكلام إلى آخره، قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت

---

[1] صالح باحبة، مرجع سابق، ص163.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص164.

منه بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه كلام وحدة مستقل عما قبله، وما بعدهُ، وإذا أفرد كان ثاما في بابه في مدح أو رثاء[1].

يعتبر الجو الثقافي الذي كان سائدا في تيهرت، هو الذي ساعد على ظهور الشعراء الذين ترعرعوا في كنف الدولة، فتجد الإمام أفلح قصيدة تقع في أربعة وأربعين بيتا، يشد فيها بفضائل العلم ويحث فيها على العلم وطلبه فيقول في مطلعها.

العلم بني لأهل العلم أثارا وليلهم بشموس العلم قد نارا

حتى وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضي ذاك أوطارا

العلم درله فضل ولا أحد في الناس يدري لذلك الدر مقدار

للعلم فصل على الأعمال قاطبة في العلم أعظم عند الله أخطارا[2].

وتوجد عدة قصائد كنموذج حسن للشعر في القرن الرابع الهجري، وقد قالها أبي خزر الحامي في هجرته إلى مصر مكرها صحبة المعر لدين الله الفاطمي[3].

وقد تسمو حكمهم إلى درجة الشعر الجيد صيتغة ووزنا، مثل:

قول أحدهم أرى نفسي تتوق إلى المعالي ويقصر دون مبلغهن المعالي

فلا نفسي تساعدني ببخل ولا مالي ببلغني المعالي

وقد يكون في الشعر التكلف والتعثر مثلما في هذه الإرجوزة الوعظية[4] ومن أهم شعراء تيهرت أبو عبد الرحمان بكر بن حماد بن التاهرني ولد في تيهرت سنة 2004هـ الموافق 815م، ثم رحل إلى المشرق فنزل المدينة المنورة وأخذ من علمائها ومنها انتقل

---

[1] ابن خلدون، مصر سابق، 507.

[2] محمد علي ديوز، المرجع السابق، ج3، ص ص 376-377.

[3] صالح باجة، مرجع سابق، ص165.

[4] نفسه.

إلى العراق، واتصل هناك بالخليفة المعتصم ومدحه فنال منه صلاة معتبرة وحزمه على دعبل بقصيدة مطلعها (البحر الطويل)، ومن الشعراء أيضا ابن الخراز أحمد بن فتح الثاهرني وقد مدح أبا العيش عيسى بن إبراهيم بن القاسم في قصيدة نقتطف منها أبياتا في مدح البصرة (من بحر الرجز) [1] ومن شعراء الإباضة أيضا نذكر أحمد العماني أثناء سياحته بالقارة الإفريقية في أواسط القرن الثالث عشر من الهجرة لما زار مشاهدة جيل نفوسه، ورأى ما عليه أهله إذ ذاك من التهور في المناهي الشرعية مع خراب المساجد وانطماس معالم السير، ومن هناك توجه إلى السودان، وفي طرقته سرق منه ديوان الجامع لإشعاري و قصائد واغتم لذلك غمالا مزيد عليه وإليك نص المنظومة الرائقة مع تسطيرتها البديع رضي الله عن صاحب الأصل ورحم من حاذاه بالمثل (بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم).

العلم أبقي لأهل العلم أثارًا

وليلهم بشموس العلم قد نارا[2].

ج- العلوم العقلية:

يقول ابن خلدون "أما العلوم العقلية فهي طبيعة للإنسان من حيث أنه ذو فكر ويصنفها إلى علوم الفلسفة والحكمة ومن فروعها المنطق مثلا العلوم الطبيعية والفلك ومن فروعها الطب والعلوم والعديدة ومنها الحساب والفلك والتنجيم[3].

---

[1] جودت عبد الكريم: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريتين (9-10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية 11-92، رقم النشر 4، 07، ص 285، 286.

[2] سليمان باشا الباروني :**الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضة**، الطبعة الأولى، 2005، الناشر، دار الحكمة، لندن، ص ص239، 240.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص504.

1- الطب:

ويعرفه ابن خلدون بالثاني ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويضح فيحاول صاحبها حفظ الصحة[1] رغم عدم وفرة لمادة التاريخية في هذا المجال إلا أن بعض المصادر الإباضة لم تحرمنا لم من ذكر بعض الأمراض وطرق علاجها بحبل نفوسة فلما كانت الحاجة أم الاختراع كان من اللازم وجود بعض الأطباء وإن كان اعتمادهم على ما هو متوافر لديهم والمثاح في الطبيعة، فعلى سبيل المثال كانوا يعالجون السعال يجب نافة عن طريق تناوله كل صباح[2]، وهذا ينطبق على أبو محمد عبد الله بن الخير أحد علماء الجبال الذي مرض بالسعال فأتى إليه أفلح بن العباس بلبن الناقة في كل صباح[3].

وذكر الدرجيني عن وجود دواء للعين عند أحد علماء أبو معروف وبدران بن جواد وبذلك يكون وجود الدواء مقترنا بوجود المذهب لاسيما أن ما ذكره الدرجيني عن وجود دواء العين، وإرسال أبي معروف في طلبه من الشيخ الفزابي في السودان[4].

يدل على أن هذا الدواء كان مركبا وأن من تدخل في صنعه أحد العارفين بفنون الطب ويرغم هذا فلم تسعفنا المادة التاريخية عن ذكر بعض أسماء الأطباء في جبل نفوسة[5].

2- الحساب:

يعتبر علم الحساب أحد فروع العلوم العديدة التي تلعب دورا بالغ الأهمية في العلوم العقلية (التجريبية) وغيرها من العلوم التي لا غنى لها عن الرياضيات[6] ويعرفه

---

[1] ابن خلدون المصدر السابق، ص419.

[2] عوض الشرقاوي، مرجع سابق، ص155.

[3] نفسه، ص155.

[4] نفسه.

[5] نفسه.

[6] إبراهيم بحاز، المرجع سابق، ص374.

ابن خلدون أيضا بأنها معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو التضعيف ويقول أيضا وهذه الصناعة الحسابية حادثة إحتيج إليها للحسان في المعاملات وألف الماس فيها كثيرا وتداولها في الأمصار بالتعليم للوالدان، ومن أحسن التعليم عندهم الابتداء بها لأنها مغارف متصحة، وبراهينها منتظمة[1]، فينشأ عنها في الغالب عقل مضيء درب على الصواب وقد يقال: من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره، إنه يغلب عقل مضيء درب على الصواب، وقد يقال "من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره، إنه يغلب عليه الصدق لما في الحساب في صحة المباني ومناقشة النفس، فيصبر ذلك له خلقا ويتعود الصدق ويلازمه مذهبا، ومن أحسن التأليف المبسوطة فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير لابن المراكشي[2]، ومن بين الذين برزوا في هذه العلوم نجد الإمام أفلح الذي كان عالما في الفك والحساب حيث قال عنه أبي زكريا...بلغ في حساب الغبار والنجامة مبلغا عظيما[3].

وحساب الغبار نسبة إلى الأرقام الغبارية وهو علم توارثه أفراد الأسرة الرستمية من أولهم إلى آخرهم ويعتبر علم النجوم ومواقعها وحساب الأمور قبل حدوثها ليس من الكهانة وإنما هو تطوير العلوم حيث يقول الأستاذ ديور يقوم على قواعد علمية دقيقة وعلى براعة في الحساب وعلم الفلك لا يستطيعه إلا العلماء الأعلام[4].

3- علم الفلك والتنجيم:

يسميه ابن خلدون بعلم الهيئة ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمحركة والمتحيرة، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه

---

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ص405.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

الحركات المحسوسة بطرق هندسية[1] اهتم الإباضيون بعلم الفلك والتنجيم إذ يروى أبو زكرياء عن الإمام أفلح في حساب الغبار والنجامة مبلغا عظيما، إذ يذكر أبو زكريا أن أبا عبد الله الشيعي لما أحرق مكتبة المعصومة انتقى منها كتب الفلك والحساب فجعلها من تصنيف أفلح أو غيره ممن اهتم بهذا العلم[2] ويرتبط علم الفلك والتنجيم بالأسرة (شيخ بكري) وقد قال أحد أفراد تلك الأسرة، معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعرف منزلة القمر وقد سبق أن ذكرنا قصة الإمام أفلح مع أخته لما تذكر ليلا وحسب ما يندرج أولا في السوق نهار ليلتهم تلك، فأصابا كلاهما، إلا أن أخت كانت أدق منه في بعض التفاصيل[3].

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ص413.

(2) إبراهيم بحاز، مرجع سابق، ص374.

(3) نفسه، ص375.

خاتمة

خاتمة:

توصلت هذه الدراسة إلى نتائج بقدر من الأهمية والتي تمثلت فيما يلي:

1- أنّ سقوط الدولة الرستمية في المغرب الأوسط لا يعني اندثار المذهب الإباضي لأن الإباضية اتخذت مناطق جديدة ومراكز لنشاطها واستمرارها مثل وارجلان وسدراتة ، أريغ ،وادي ميزاب وغيرها من المناطق الداخلية.

2- عرفت الإباضية عدة ثورات والتي تمثلت في الثورة الوهبية والنكارية والتي تكللت بالفشل، بحيث كانت نتائجها وخيمة على الإباضية عامة وذلك لأن قِوادها مثل أبي يزيد لم يلتزم بمبادئ الذي وأعلنوها مع بداية الثورة والتي كسبوا عطف أتباع المذاهب الأخرى.

3- نتج عن ذلك ميلاد نظام جديد بديل للإمامة هو نظام العزابة بحيث ساعد هذا النظام في توحيد التجمّعات الإباضية والحفاظ على مذهبهم طلية هذه القرون.

4- ساهم هذا النظام بدور كبير في إثراء الحياة الثقافية حيث ابتدع نظام تعليمي جديد موّحد لا يجوز الخروج عنه، كما اهتمت الإباضية بمختلف العلوم كعلم الكلام وغيرها.

ومن خلال كل هذه النتائج نستنتج أن الإباضية رغم كل الصعاب إلا أن أثرها الثقافي باقي إلى يومنا هذا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1-ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ت.ق، د محمد ناصر، دار الغرب الاسلامي، د.ط، د.س.

2-أبي الربيع سليمان عبد السلام بن حسان الوسياني، سير الوسياني، تح، عمر بن لقمان، حمو سليمان بوعصبانا، ج1ن ط1، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2009.

3-أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، الجزء الأول، تح، ابراهيم طلائي،

4-أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، الجزء الثاني

5-أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، المجلد الأول، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامين تونس، ط1، 1434هن 2013م.

6-أبي القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة، دط، دن، دت.

7-أبي زكريا ويحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تح، اسماعيل العربي، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1399ه، 1979م، ط2، 1402ه، 1982م.

8-أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، السير الجزء الأول، تح، أحمد بن مسعود سيابي، 1408ه، 1918م، د.ط.

9-أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، السير، الجزء الثاني.

10- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الخضرمي، المقدمة.

11- مسعود مزهودي، سير أبي عمار عبد الكافي، ن وت، مسعود مزهودي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، 1412ه، 1996م.

الأطروحات الجامعية:

1-سامية المقري، التعليم عن الإباضة في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة.

2-صلاح الدين شعباني، التربية والتعليم عند الإباضة بالمغرب الإسلامي بين القرن 03 و05هـ/09-11 م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

3-فتيحة قرواز، الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية (260-296هـ إلى 777-909م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ وحضارة المغرب الأوسط.

4- فطيمة مظهري، مدينة تيهرت، دراسة تاريخية حضارية القرن 02 و03 هـ/08-09 م، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

قائمة المراجع:

1-أحمد أمين، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، دت، دن.

2-باجية صالح، الإباضة في الجريد في العصر الإسلامي الأولي، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونسن د.ط.

3-بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية، ط2، للنشر جمعية التراث، دام، 1993.

4-بكير بن سعيد أعويشت، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية.

5-الجعبيري فرحات، نظام العزابة عند الإباضة.

6-جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط

7-جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1984.

8-حجازي عثمان، الفكر التربوي الإباضي الشمال الإفريقي.

9-حسين إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي.

10- حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا.

11- الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بنو محمد الأنصاري، معالم الإيمام في معرفة أصل القيروان.

12- سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضة، تح، محمد علي الصلبي، دار الحكمة، لندن، ط1، 2005.

13- عبد الله بن يحي الباروني النفوسي، رسالة سلم العامة المبتدئين إلى معرفة أئمة الدين.

14- علي محمد الصلابي، الإباضة مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ط1، دن، دت.

15- علي يحي معمر، الإباضة في موكب التاريخ، تح، الحاج سليمان بن الحاج ابراهيم، بابزبز، مكتبة الظامري، للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط2، 1469،هـ، 2008م.

16- عوض الشرقاوي، التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجري، دط، مؤسسة توالت الثقافية، دم، دت.

17- محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تح، محمد الميلي، مؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، دط.

18- محمد صالح ناصر، مكانة الإباضة في الحضارة الإسلامية.

19- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، دط، دن، دم، دت.

20- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ296م)، ط3، دار العلم للنشر والتوزيع، 1987.

21- محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف الرابع هجري، دار الثقافة، دار البيضاء المغرب، د.ط.

22- مسعود مزهود، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (21-642-1053).

23- مسعود مزهودي، الإباضة في المغرب الأوسط، نشر جمعية التراث، القرارة، 1417، 1996م، المطعة العربية.

24- مقرين بن محمد البغطوري النفوسي، روايات الأشباح، مشاييخ نفوسة، تح، توفيق عباد الشقروني، د.ط، مؤسسة تاوالت، د.م 2009.